مقتل أبي مسلم الخراساني وأثره في الأوضاع السياسية للخلافة العباسية

حسن محمد عبدالله النابودة

أستاذ مساعد، قسم التاريخ والآثار،
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،
جامعة الإمارات العربية المتحدة
Email: alaboodah@uaeu.ac.ae

المجلة العربية للعلوم الإنسانية 85 العدد 87/22

الملخص

يتناول هذا البحث قضية الصراع بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم الخراساني الذي يعد أحد أبرز رجال الدعوة العباسية وقادة ثورتها، هذا الصراع الذي أدى إلى قتل الخراساني على يد المنصور، وذلك من خلال تتبع الروايات التاريخية المختلفة ذات العلاقة بالموضوع ونقدها وتحليلها، بغية الوصول إلى معرفة طبيعة هذا الصراع وخلفيته التاريخية. ويناقش البحث الأحداث الرئيسة التي شارك فيها أبو مسلم الخرساني منذ اندلاع الثورة العباسية، وعلاقته بإبراهيم الإمام ومن بعده بأخويه السفاح والمنصور، ودوره في الأحداث المهمة التي شهدتها الخلافة العباسية في بداية عهدها، وتأثيره في صنع القرارات العليا للدولة، وما كان من تأثير ذلك الدور على علاقته بالمنصور وما قاد إليه من تخوف المنصور، وقراره التخلص من أبي مسلم وقتله.

ويناقش البحث أيضاً طبيعة شخصية أبي جعفر المنصور التي اتسمت بالقوة وصلابة الإرادة والحزم، والاستبداد بالرأي والسعي إلى ترسيخ نظام قائم على استخدام الشدة والقسوة والبطش في التعامل مع الخصوم والمنافسين بدلاً من الحوار والشورى، وهو ما أثر سلباً على مستقبل الخلافة العباسية، وتسبب في اتساع هوة الخلاف بين مركز الخلافة والأقاليم المنافسة له. ويخلص البحث إلى أن قتل أبي مسلم الخراساني كان ذا نتائج خطيرة على النظام السياسي العباسي، فقد أحدث انقلاباً جذرياً في نظام الحكم الإسلامي، من خلال انتهاج سياسة القتل والتصفية الجسدية للمعارضين، وانفراد الخليفة باتخاذ القرارات العليا دون الرجوع إلى أصحاب الحل والعقد، ومن ثم فقدان الثقة بالخليفة وسياساته.

المقدمة

استطاع أبو جعفر المنصور الخليفة العباسية الثاني بأسلوبه الحازم في الإدارة والحكم بناء دولة قوية مهيبة الجانب ، فأسلمها لمن جاء بعده ، قوية البنيان ثابتة الأسس ، فقدر لها أن تعيش وتبقى قرابة خمس مئة سنة ؛ كما خلدت ذكراه مدينة بغداد التي كانت ولا تزال رمزا خالدا للعروبة والإسلام . ولكن لابد لنا أن ننظر إلى خلافة المنصور التي امتدت قرابة عشرين عاماً من منظور آخر ؛ ففترة حكمه هذه تعد من أهم الفترات في تاريخ الخلافة العباسية ، فهي في الواقع امتداد لخلافة السفاح ، ومرحلة انتقالية للنظام السياسي الإسلامي . وكان الكثير من العرب والمسلمين قد رحبوا بقدوم العباسيين إلى السلطة بل إن أعدادا كبيرة منهم شاركت في الثورة العباسية في خراسان وفارس ، سعيا وراء حياة سياسية واقتصادية أفضل ؛ فقد يئسوا من سياسة ولاة بني أمية ، وبخاصة في العراق ، وكرهوا حكم ابن هبيرة الذي أعاد لأذهانهم سياسة القسوة والقوة التي كان يحكم بها الحجاج . لكن سرعان ما أفاقوا من غفوتهم بعدما فات الأوان ، ووجدوا أنفسهم وراء سراب من الآمال والأوهام ، بل إن العلويين أنفسهم ـ وهم الأعداء التقليديون لبني أمية ـ أخذوا يترحمون على حكمهم .

صحيح أن أبا جعفر المنصور كان أحد دهاة زمانه ، وعرف بقوة الشخصية وصلابة الإرادة والحزم ، لكنه كان مثالا للحاكم المتسلط الذي استخدم السيف والقوة والبطش ضد كل من وقف في طريق حكمه ، بل ضد من خالفه الرأي ، وهو أمر قال به المؤرخون الأوائل على رغم ثنائهم عليه وعلى عبقريته السياسية ، فذكروا «**أنه قتل خلقا كثيرا حتى يثبت الأمر له ولولده**» (1) .

فدولته التي أقامها على أسس متينة وصلبة كانت تتضمن فراغاً واسعا من التهلهل السياسي والفكري ، وشيد المنصور فوق بنيانه الصلب نظاما سياسياً مستبداً مخالفاً تماماً للنظام السياسي الراشدي الذي كان يتطلع إليه كل من ناصر الثورة العباسية وأيدها ، وأكثر استبداداً من النظام الأموي ذي الروح القبلية الذي كان يتيح قدراً كبيراً من حرية الرأي والتعبير والاحتجاج على سياسة الخلفاء

والولاة ؛ وهكذا سارع المنصور إلى تصفية خصومه السياسيين ، فضرب أبا مسلم بعمه عبدالله الذي لم يكن بأفضل من المنصور هو الآخر ، ثم نجح في التخلص من أبي مسلم فاتبع جميع الطرق والوسائل للظفر به قبل دخوله خراسان معقله الحصين كما سنرى . بعد ذلك تفرغ لأبناء عمه وعاملهم بقسوة شديدة لم يعاملهم بها الأمويون [2] ، وذلك للنيل من محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم فتمكن من القضاء عليهما في نهاية الأمر ؛ بعدها انقلب على ولي عهده عيسى ابن موسى الذي أخلص له وكان ساعده الأيمن في الأزمات التي مر بها ، فأكرهه على خلع نفسه من ولاية العهد وعلى البيعة لابنه محمد المهدي ـ الذي يحمل اسمه مدلولات دينية ـ فحسم بذلك الأمر ، ورسخ مثلما فعل معاوية من قبل ـ النظام الوراثي للحكم ، وأضاف عليه مبدأ مقدساً وهو الحق الديني لأن تكون الخلافة في عقبة ، فسارع بإضفاء ألقاب ذات مدلولات دينية على نفسه وعلى خلفه . وفي خطبته الشهيرة بمكة حيث اجتمع آلاف الحجاج من المسلمين من كل بقاع الأرض الإسلامية أراد المنصور أن يذكر الناس بطبيعة الثورة العباسية الدينية السياسية ، وبشعاراتها التنبؤية المهدوية ، وبالصفة الدينية لخلافتهم حين قال : «**أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه ؛ أسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وأنا خازنه على فيئه ، أعمل بمشيئته ، وأقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه ، . . . فارغبوا إلى الله أيها الناس ، وسلوه في هذا اليوم الشريف . . . أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحني لأعطياتكم**» .[3] هكذا ختم المنصور على عقلية البسطاء من الحجاج بالسمع والطاعة والدعاء إلى الله لحفظ السلطان لتصبح مقولته قاعدة دينية سياسية ، حظيت بدعم قوي من كثير من علماء الدين السنة ، وبخاصة المتأخرين منهم ، بحجة أن الخروج على النظام أشد مفسدة ، دون النظر إلى أحقية اعتراض المسلمين على إمام جائر ، وهو الأمر الذي أكده أبو بكر الصديق في خطبته بعدما بويع بالخلافة .

لقد أكد المنصور في مراسلاته مع عيسى بن موسى ، وفي دعوته المسلمين للبيعة لولي العهد قدسية هذا الأمر ، لذلك سماه بالمهدي ليملأ الأرض نورا

وعدلا . وينسب إليه قوله : «**لو علمت مكان من هو أحق بهذا الأمر مني لأتيته حتى أدفعه إليه**» . [4]

ولسنا هنا بصدد تكرار ما قد قيل عن سياسة المنصور الداخلية فقد كتب عنها كثير ، وإنما الهدف من هذا البحث هو التوسع في دراسة شخصية مهمة كانت محور الأحداث التاريخية بين العهدين الأموي والعباسي ، جمعتها مع المنصور الظروف وفرقت بينهما السلطة ، فكان لابد من إزاحة أحدهما ليكتب للآخر البقاء والاستمرار .

نشأة أبي مسلم وبداية ظهوره (نقد الروايات التاريخية وتحليلها)

دفعني البحث في قضية صاحب الخبر أيام المنصور إلى البحث عن سيرة أبي مسلم الخراساني وما كتب عنه في الأبحاث والدراسات المعاصرة . وكم كانت دهشتي عندما وجدت أن هذه الشخصية اللامعة التي طبقت شهرتها الآفاق لم تستوف حقها في الدراسة والبحث ، وبخاصة في عالمنا العربي . وما كتب عنه لا يعدو كونه جمعاً لروايات متفرقة تم ترتيبها وربط بعضها ببعض ، وفق تطور الأحداث الزمنية ، ولا تعطي إجابة شافية لقضايا الخلاف بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم الخراساني ! كما ينقصها الجانب التحليلي لسيرة أبي مسلم وعلاقته بالبيت العباسي الحاكم . لهذه الأسباب رأيت بعد استكمال البحث الخاص بصاحب الخبر في دولة المنصور التوسع في دراسة هذا الموضوع ، والبحث عن خلفية الصراع بين قائدين كبيرين جمعهما الزمان والمكان ، وجار على أحدهما فقتل وهو في ذروة عطائه وعنفوان شبابه ، فانطفأت شعلته التي أحرقت بنارها دولة الأمويين ، وأنارت بنورها الدرب للعباسين .

فهل كان أبو مسلم يستحق ذلك المصير الذي آل إليه؟ هذا ما اختلف عليه المؤرخون قديما وحديثا فأصحاب السير وكتب الحوليات والأنساب لم يتركوا لأبي مسلم مما اقترفه من قتل واغتيالات أمراً إلا ذكروه ، وربما زادوا عليها ، لكنهم لم يستطيعوا إخفاء الحقيقة والاعتراف بعظمة قيادته وحده ذكائه وبلائه الكبير في الثورة العباسية ؛ بل إنهم اتفقوا على أنه أزال دولة وأقام دولة .

أما علماء الدين السنة ، فقد نعتوا أبا مسلم بالظلم والعدوان والقتل ، وأنه استحق ذلك المصير القاسي على يد أبي جعفر المنصور . ويهمنا أن نشير هنا إلى ما ذكره ابن حجر العسقلاني (ت : 1449/852) في هذا الصدد ، لأنه يلخص لنا رأي علماء الدين في أبي مسلم ، حيث قال عنه : «**عبدالرحمن بن مسلم أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية . يروي عن ابن الزبير وغيره ، ليس بأهل أن يحمل عنه شيء ، هو أشر من الحجاج وأسفك للدماء ، كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب ، من (شاب) . دخل إلى خراسان ابن سبع عشرة سنة على حمار بإكاف ، فما زال بمكره وحزمه وعزمه يتنقل حتى خرج من مرو بعد عشر سنين يقود كتائب أمثال الجبال ، فقلب دولة وأقام دولة ، وذلت له رقاب الأمم وحكم في العرب والعجم ، وراح تحت سيفه ست مائة ألف أو يزيدون . فقامت به الدولة العباسية وفي آخر أمره قتله أبو جعفر المنصور سنة سبع وثلاثين ومائة**» .(5)

إن المتفحص لسيرة أبي مسلم الخراساني وأخباره في المصادر العربية بشكل عام يجد نفسه أمام شخص مكروه على أقل تقدير ، فمن أراد أن يجعله محباً للفرس كارهاً للعرب سيجد ضالته بين الروايات المتفرقة ، ومن أراد أن يجعله قاتلا وسفاكا للدماء يجد ما يؤيد رأيه ويدعمه في كتب التاريخ والحديث ، ويمكن أن يكون زنديقاً ومانوياً وملحداً إذا اعتمدنا على الروايات التي شطت في الحديث عنه ، فهل كانت سيرة أبي مسلم الخراساني فعلا سيئة ، أم أن الحقيقة خلاف ذلك؟

إن جامعي الروايات والمؤرخين الأوائل لم يكن بمقدورهم الإساءة إلى رموز الثورة العباسية ، وبخاصة القادة الكبار وما ارتكبوه من مذابح وقتل في حق الأمويين وأنصارهم ، وما كتب عن عبدالله بن علي لم يبلغ حد التشهير والإساءة أو الإدانة ، وكان لابد من تحميل القائد العسكري للثورة القسط الأكبر من هذا الأمر بعد أن قتل بيد من قاتل لأجل إقامة دولتهم .

وقد يفهم مما سبق أننا بصدد تحسين صورة أبي مسلم الخراساني أو دفع

التهم عنه ، لكن ليس الأمر كذلك ، وإنما أردنا القول إن أبا مسلم فعل ما فعل باسم إبراهيم الإمام والسفاح وأبي جعفر المنصور في تلك الأحداث التي ذكرتها المصادر المختلفة . فقد كان رجلاً طموحاً ساعدته الظروف على ضرب العرب بعضهم ببعض في خراسان تحت رايه العدالة العباسية «الرضا لآل البيت» ، فنجح إعلامياً قبل أن ينجح عسكرياً حيث فشل الآخرون . [6] لكن قائدا كهذا يصنع البطولات ويزيل دولة وتهاب لقاءه جيوش الأمويين ، لابد أن يكون من نوع خاص كأولئك القادة العظام الذي أثروا في مجرى التاريخ ، فمن أبو مسلم الخراساني؟

إذا أنعمنا في النظر والتدقيق في تفاصيل أحداث السنين الأخيرة من عمر الدولة الأموية ، فإن روايات هذه الأحداث وما نسب فيها من أقوال إلى زعماء العرب في خراسان آنذاك توحي دون جدال أن أبا مسلم لم يكن عربياً قط . [7] وفي الوقت نفسه توحي هذه الروايات أيضاً أن أبا مسلم الخراساني كان يتمتع بصفات قيادية على درجة عالية من الدهاء والكفاءة ، وبفضل هذه الموهبة الفذة تمكن من اختراق الصف العربي في خراسان والسيطرة على مجريات الأمور فيها ، على رغم القدرات الإدارية والعسكرية القوية التي كان يتمتع بها خصمه اللدود وخط الدفاع الأول للدولة الأموية نصر بن سيار ، ذو الخبرة الواسعة والعريقة في السياسة والحرب . [8] ويقودنا هذا الأمر إلى التأكيد على أن نشأة أبي مسلم الخراساني لم تكن عادية ، ولم يكن من عامة الناس كما توحي بعض الروايات ، وفكرة أن يكون عبدا أو مملوكا مرفوضة ولا تصمد أمام الحقائق التاريخية لإنجازته الحربية وطموحاته السياسية ، كما أنه كان مخلصا للدعوة العباسية ومسلما لا يشك في دينه أو إسلامه . [9]

وتتفق معظم الروايات الأولى التي تكلمت عن نشأة أبي مسلم على أنه نشأ وترعرع في بيت عيسى ومعقل ابني إدريس بن عيسى العجليين ، فهو عربي النشأة واللسان «**فخرج أديبا لبيبا يشار إليه في صغره**» [10] ، إلا أن ذلك وحده لا يكفي ، فقد كان هناك آلاف الموالي الذين نشأوا في بيوتات عربية ولم يذكرهم

التاريخ ، على حين كان أبو مسلم شخصاً حاد الذكاء ذا ملامح حسنة طموحا . هذا ما تؤكده الروايات مما يعني أن نسبه الفارسي عريق هو الآخر ، ولم يكن من عامة الناس . وهو مدرك تمام الإدراك هذا الأمر ، لكنه يرى ـ على رغم علو مكانته وسمو نفسيته ـ أنه لن يحقق طموحه إلا من خلال توثيق عرى العلاقة مع أسياده العرب ، فعندما سأله إبراهيم الإمام عن اسمه ونسبه ، رد قائلا : «**أما نسبي فإني مولاك . . . فأنا مولى رسول الله (ص) وإذا كنت مولى رسول الله (ص) فأنا مولاك ، إذ كنت وارثه** »[11] . هذا الرد الحاذق يفسر لنا قول الدينوري فيه : «نشأ (أبو مسلم) غلاماً فهماً أديباً ذهنا» [12] ، ويصفه المسعودي بأنه «**كان صاحب مكيدة وحيل**» [13] ، وذكر الجاحظ أنه «**حسن الألفاظ جيد المعاني . . .**» [14] ، ويروى البلاذري نقلا عن رؤية بن العجاج قوله : «**كان أبو مسلم فصيحا على غلظ وفصح كان في لسانه ، دخلت عليه فأنشدته :**

لبيك إذ دعوتني لبيكا   أحمد ربا ساقني إليكا

أصبح سيف الله في يديكا

فأمر لي بكسوة ومال وقال : إن لك إلينا عودة ، وعلينا معوّلا ، والدهر أطرف مستتبّ ، فإذا أتيت خراسان فصر إلى أغنك ، فقلت : له إني أريد أن أسألك وأنا أفرق منك ، فقال : سل آمنا ، قلت أرى لسانا عضبا وكلاما فصحا ، فأين نشأت أيها الأمير؟ قال : بالكوفة والشام . . . . .» [15] . وعن طموحه الكبير وهمته العالية يقول ابن الجوزي (ت : 1200/597) «**كان أبو مسلم الخراساني في حال شبيبة لا يكاد ينام فقيل له في ذلك . فقال : ذهن صاف وهم بعيد ونفس تتوق إلى معالي الأمور مع عيش كعيش الهمج الرعاع**» [16] .

هكذا تجمعت في أبي مسلم كثير من صفات القائد الناجح ، كما وصفها لنا المدائني (ت : 839/225) ، فقد كان :«**فصيحاً بالعربية والفارسية حلو المنطق راوية للشعر عالماً بالأمور ، لم يُرَ ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته . . . تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور ، وتنزل به الفادحة فلا يُرى مكتئباً ، وإذا غضب لم يستفزّه الغضب**» [17] .

وتتفق الروايات على أن ولادته كانت في مطلع القرن الثاني الهجري ، وكان أول ظهوره بخراسان سنة تسع وعشرين للهجرة .[18] ، لكنها اختلفت في نسبه وقد لخص ابن قتيبة (ت : 889/276) الروايات المتضاربة في أصله ونشأته بقوله : «**ذكروا أن مولده سنة مائة ، واختلفوا في نسبه اختلافاً كثيراً فقال بعضهم : هو من أصبهان وقال بعضهم : هو من خراسان وقيل من العرب ، وادعى هو أنه من سليط بن علي بن عبدالله بن عباس ، ونسبه أبو دلامة إلى الأكراد ، وكان منشؤه عند إدريس بن عيسى جد أبي دُلف النازل في حد أصبهان**»[19] . إلا أن أكثر المصادر تفصيلا لهذه القضية وأقربها إلى الأحداث هو صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية وهو مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، إذ يروي أن إبراهيم الإمام سمّاه عبدالرحمن وكنّاه أبا مسلم[20] . وتحمل هذه الكنية دلالات مهمة ، فلم يسبق لأحد من قبل أن اشتهر بهذه الكنية ، وربطه في الوقت نفسه بالإسلام ؛ لكن الدعوة السرية الطويلة التي امتدت أكثر من عقدين من الزمن كانت كافية لإثارة كثير من الغموض حول شخصية أبي مسلم ونشأته ، إضافة إلى الحروب الطاحنة التي خاضها هو بنفسه خلال فترة سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، وما تخللها من أحقاد وكراهية كانت كفيلة بكتم كثير من الأسرار والحقائق ذات الصلة المباشرة بشخصية أبي مسلم ، والتي ما من شك في أنه كان شديد الحرص على عدم إشاعتها تحسباً للتطورات وتخوفا من تقلب الأيام .

وعلى الجملة فإن غالبية الروايات التي ذكرت نسب أبي مسلم وأصله ونشأته مصدرها **كتاب أخبار الدولة العباسية** ، ونظراً لأهميتها فإننا نلخص ما ذكره مؤلف الكتاب في النقاط التالية[21] :

الرواية الأولى لأبي الخطاب (؟)

1 ـ أن أبا مسلم من أصبهان وولد في منزل عيسى بن معقل العجلي ، ونشأ مع ولده .

2 ـ خدم عيسى في السجن بالكوفة زمن خالد بن عبدالله القسري (105-120) .

3 ـ تعرف خلالها على قوم من شيعة بني العباس من أهل الكوفة وخراسان ، كانوا في سجن الكوفة مع عيسى ، وعرف من خلالهم الدعوة العباسية ، وصاحب شخصاً يدعى عيسى بن إبراهيم السراج ، ولذلك قيل إن أبا مسلم كان سراجاً .

4 ـ أصبح حلقة الوصل بين أنصار الدعوة المسجونين في الكوفة والمشتبه في أمرهم وإبراهيم الإمام .

5 ـ أعجب إبراهيم الإمام بشخصيته وحدة ذكائه ، فبدل اسمه من إبراهيم إلى عبدالرحمن ، وكنيته من أبي إسحق إلى أبي مسلم ، وأبلغ أنصار الدعوة بثقته به ، وجعله رسوله إليهم .

الرواية الثانية (قال بعضهم؟)

1 ـ كان غلاما لعيسى بن إبراهيم السرّاج وهومن أهل الكوفة ومن رؤساء الشيعة ، وكان موسراً يتاجر بالسروج وآلاتها ، وتوجه معه إلى محمد بن علي .[22]

2 ـ كان عمره آنذاك عشرين سنة واسمه إبراهيم بن ختكان .

3 ـ كان إدريس وعيسى ابنا معقل مسجونين بالكوفة زمن يوسف بن عمر ، وكان أبو مسلم معهما يخدمها ، وهو من ذلك مع عيسى السرّاج يعمل له السروج وأدواتها .

4 ـ التقى مع النقباء الثلاثة سليمان بن كثير ولاهز بن قريض وقحطبة بن شبيب في أثناء زيارتهم لابني معقل العجليين في طريقهم من خراسان ، فصحبهما إليه بعدما وثقوا به .

5 ـ أعجب إبراهيم الإمام به وقال عنه «هذا عضلة من العُضل» فبقي معه يخدمه .

6 ـ ونسب لأبي مسلم أنه شهد مع الإمام خطبة يزيد الناقص في دمشق عام 744-743/126 .

الرواية الثالثة (للنحيت بن مجاهد وكان صديقا لآل معقل العجليين نقلاً عن سابق مولى معقل!) :

1 ـ كان عثمان بن يسار مولى لبني عجل بأصبهان ، باع له جارية لعيسى بن معقل العجلي بثماني مئة درهم ، وهي يومئذ حامل بأبي مسلم وهو لا يعلم بحملها ؛ وذلك لدفع ما تبقى عليه من الخراج ثم مات .

2 ـ علم عيسى بن معقل بحمل الجارية فحصنها فولدت له أبا مسلم وماتت في نفاسها .

3 ـ تضطرب الرواية وتدخل في أسطورة الرؤية لمستقبل أبي مسلم .

4 ـ سجن عيسى بن معقل بأمر يوسف بن عمر وقدم أبو مسلم عليه يخدمه .

5 ـ تعرف في السجن على أنصار الدعوة ووثقوا به .

6 ـ قتل يوسف بن عمر عيسى بن معقل ، فاستمر أبو مسلم يزور أنصار الدعوة وعمل مع شخص يدعى أبا إسحق يعمل في تجارة السروج .

7 ـ أخذه بعدها جماعة من شيعة الدعوة من خراسان إلى إبراهيم الإمام في مكة ، وأعجب به الإمام وجعله رسوله إلى شيعته بالكوفة ثم أبقاه عنده عدة سنين .

8 ـ بعثه بعدها إلى خراسان لإعلان الدعوة فشاع ذكره قبل وصوله ، فبلغ ذلك ابن هبيرة والي العراق فكتب إلى نصر بن سيّار بالجد في طلبه ، فتمكن من تضليل عيون نصر والوصول إلى الري والنزول عند عمر بن المختار الثقفي الذي وفر له الحماية ثم توجه إلى خراسان .

روايات أخرى متفرقة : ذكرها المؤلف نقلاً عن العامة ، وهي غير موثقة ويشوبها كثير من التناقض ، لما فيها من تفاصيل دقيقة في المحادثات والحوار حول أصل أبي مسلم ، ولا تخرج عن الإطار العام للروايات الثلاثة التي ذكرناها ، والتي هي الأخرى تتفق على الخطوط العامة لظهور أبي مسلم وتختلف في التفاصيل . [23]

ونخلص من ذلك إلى أن نسب أبي مسلم لم يكن معروفا لجامعي الروايات والمؤرخين ، ولم يبذلوا جهداً في معرفته وتقصي حقائقه ، وإنما اكتفوا بتدوين ما وصلهم من أخبار الحروب التي خاضها . والنقطة المحورية لما ذكرته الروايات أن أبا مسلم كان يخدم ـ والقصد هنا ليس العبودية وإنما المساعدة ـ عيسى وإدريس ابني معقل العجليين ، ومن خلالهما تعرف على دعاة الدعوة العباسية في مدينة الكوفة عام 741/124 ، فرأوا فيه علامات النجابة والذكاء ، فدعوه وضموه إليهم ، وتوجهوا به بعد ذلك إلى إبراهيم الإمام . (24) ويعني ذلك أنه كان يتمتع بصفات مهمة جعلته مؤهلاً للحدث العظيم الذي قام فيه بدور كبير ، وأن اختياره لم يكن مصادفة أو من غير سابق معرفة . ويؤيد ذلك أيضاً عدم تعرضه طوال فترة حروبه في خدمة العباسيين إلى التجريح أو التشهير ولو كان عبداً لما سلم من أعدائه أو من الشعراء العرب (25) ، بل إن المأمون وهو حفيد أبي جعفر المنصور قاتل أبي مسلم رفعه إلى منزلة العظماء الذين غيروا مجرى التاريخ ، فقال : أجل ملوك الأرض ثلاثة ، وهم الذين قاموا بنقل الدول : الاسكندر ، وأردشير وأبو مسلم الخراساني . (26) وفي ذلك إشادة بالدور الكبير الذي قام به أبو مسلم في خدمة العباسيين كما سنرى . وتشير هذه الروايات أيضاً إلى أن أبا مسلم بقي يخدم إبراهيم الإمام أربع سنوات أي حتى 745/128 ، وهي السنة التي أرسله فيها إلى خراسان . (27) ويضيف ابن عساكر أن إبراهيم الإمام زوجه ابنة عمران بن إبراهيم الطائي المعروف بأبي النجم على أربعمائة درهم ، وذلك وقت خروجه إلى خراسان فأنجبت له أسماء ، تزوجها محرز بن إبراهيم ، وفاطمة تزوجها فهم بن محرز . (28)

وعلى الجملة فإنه من غير الممكن أن يرسل قائد الدعوة شخصاً يجهله ولا يعرف عنه شيئاً ، والفترة التي قضاها أبو مسلم مع إبراهيم الإمام كانت كافية لمعرفته جيدا ؛ حيث أصاب الإمام ضالته في القائد الذي بحث عنه طويلاً ، وعرف عنه النباهة والعزم وحدة ذكاء والفطنة والحنكة والدهاء ، إضافة إلى نسبه أو نشأته بخراسان . ولاشك أيضا أن تلك الفترة كانت كافية ليتعلم منها أبو مسلم كثيراً من الأمور ، كما وجد طريقه الذي سيحقق له طموحه السياسي

والعسكري . فهو من جهة أخذ تعاليم الدين الإسلامي عن البيت الهاشمي ، وتعلم فصاحة اللغة العربية وعلومها [29] ، وتعرف عن قرب على أسرار الدولة الأموية من خلال العيون والجواسيس الذي كانوا ينقلون لإبراهيم الإمام التطورات المختلفة لشؤون الدولة في الشام والعراق وخراسان ، ولو لم يكن أبو مسلم الخراساني حاد الذكاء طموحاً ومتيقظاً لما أفاد من علاقته تلك إلا النزر اليسير ، فما حققه من نجاح كبير في خراسان إنما هو عائد إلى الفترة التي تأهل فيها لمرحلة المواجهة والظهور .

بداية الخلاف وصراع الفرقاء أو قادة الثورة

ليس هدف هذه الدراسة التوسع في تفاصيل الحروب التي خاضها أبو مسلم ؛ لأن هذا الموضوع تطرق له كثير من الباحثين العرب والمستشرقين [30] ، وإنما هدفنا هو إلقاء المزيد من الضوء على علاقة أبي مسلم الخراساني بأبي جعفر المنصور ، والظروف والأسباب التي أدت إلى تلك النهاية التي انتهى بها ، والتي وجدت صداها في كل الكتابات التاريخية والأدبية ، وصارت مضربا للأمثال العربية والفارسية ، وبلغت من الشهرة ما لم تبلغه نهاية أي قائد عسكري من قبل .

لقد أجمعت المصادر الإسلامية على الدور الكبير الذي قام به أبو مسلم الخراساني في خدمة الدعوة العباسية وانتصاراته الباهرة على الأمويين ، وجهوده الحربية المهمة في توحيد مناطق شرقي الخلافة الإسلامية تحت راية العباسيين ، والذي مهد من خلالها لابتلاع بقية أقاليم الخلافة الأموية ؛ فوضع الخطط ، وسير الجيوش ، وأحكم قبضته على المدن والأمصار ، ثم سير العساكر الخراسانية لقتال مروان بن محمد ، فاستقبلها السفاح في الكوفة ، وأمر عليها عمه عبدالله بن علي الذي التقى مروان في موقعة الزاب الشهيرة 749/132 [31] . ونسب إلى أبي مسلم قتل الآلاف من العرب والمسلمين في الحروب التي خاضها ، كما نسبت إليه إشاعة الفرقة والأحقاد والضغائن بين أنصار الدولة الأموية ، لكن هذه المصادر لا تتطرق لشخصه ، ولا تنسب إليه شيئا من صفات الغدر والخيانة واللؤم وسوء الأخلاق .

ولابد أن ننوه هنا إلى إن سر نجاح الدعوة العباسية لم يكن بأي حال من الأحوال مرتبطاً بشخصين معين ، وإنما كان ذلك ثمرة جهود طويلة ومضنية أسهم في نجاحها عدد كبير من الشخصيات العربية والفارسية ، كما كان للقبائل العربية في خراسان دور رئيس ومهم جداً في هذه الجهود ، بل كانت محور الصراع على السلطة في خراسان وعامل حسم فيه [32] . وبعد قيام الدولة برز على ساحتها أربعة قادة كبار هم : أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور وعمهما عبدالله بن علي وأبو مسلم الخراساني . وعلى الرغم من نجاح السفاح في المحافظة على التوازن بين أركان الدولة الأربعة ، فإن بوادر الخلاف بين البيت العباسي الحاكم وأبي مسلم الخراساني بدأت قبل تولي المنصور مقاليد الحكم . وتحديداً بعد مقتل أبي سلمة الخلال الذي كان صاحب فضل كبير على الدعوة العباسية وكان أحد كبار دعاتها وأنصارها . [33]

ويروي لنا صاحب كتاب العيون والحدائق أنه : «**في سنة 752/135 تذكر السفاح من أبي سلمة حفص بن سليمان المعروف بالخلال . . . فأحب السفاح أن يعلم رأي أبي مسلم في قتل أبي سلمة الخلال فكتب إلى أبي مسلم كتابا يذكر فيه ما أبو سلمة وما هم خائفون منه . . . . فأجاب أبو مسلم إن كان أمير المؤمنين قد اطلع على ذلك فليقتله**» . [34]

وهناك رواية أخرى ذكرها الدّينوري وأخذ بها المسعودي تُحمِّل أبا مسلم الخراساني مسؤولية قتل الخلال ، حسداً له على المركز الذي عهد إليه ، فيقول الدّينوري إن أبا مسلم لما سمع بأن الخليفة «**ولي أبا سلمة جميع ما وراء بابه وجعله وزيره ، وأسند إليه جميع أموره ، أرسل أحد قواده وأمره بقتل الخلال**» . [35] ويضيف المسعودي إلى ذلك قائلا : «**لما سمع أبو مسلم بخيانة الخلال أشار علي الخليفة بقتله ، لأنه نكث وغير وبدل ، ولكن الخليفة رفض ، فطلب أبو مسلم من داوود بن علي ومن أبي جعفر حثه على قتله ، فرفض أبو العباس قائلاً : ما كنت لأفسد كثير إحسانه وعظيم بلائه . . . بزلة كانت منه فلما سمع أبو مسلم بذلك خاف من ناحية أبي سلمة أن يقصده بالمكروه ؛ فوجه**

جماعة من ثقات أصحابه في إعمال الحيلة في قتل أبي سلمة» . [36]

ونخلص من تلك الروايات أن أبا مسلم لم يكن والياً فحسب ، وإنما كان مؤثراً في صنع القرارات العليا للدولة ، ولم يدر في خلده أبداً في تلك الفترة أن كأس الموت الذي أسهم في إذاقته لأبي سلمة الخلال سيتجرعه فيما بعد . وقد بلغت الثقة بأبي مسلم حداً كان معه يضع العيون والجواسيس في بلاط الخليفة العباسي ، وهو يعلم عاقبة ذلك الأمر الخطير ، فقد ذكر الطبري أن أبا الجهم كان **«عيناً لأبي مسلم على أبي العباس»** [37] ويؤيده في ذلك ابن قتيبة بقوله : **«وكان أبو الجهم يكتب إلى أبي مسلم بالأخبار ، وأن أبا العباس كان لا يقطع أمراً دون رأي أبي مسلم»** . [38] **ويضيف اليعقوبي : «وكان الغالب عليه (علي أبي العباس) أبو الجهم ابن عطية الباهلي»** . [39] ويضيف البلاذري أن أبا مسلم هو الذي اقترح على السفاح ترك الكوفة ، حيث علم من خلال عيونه أن أهلها يحابون آل علي بن أبي طالب ، ويتربصون بالسفاح وآل بيته ، وبناء على هذه النصيحة بني السفاح له مدينة بالأنبار أسماها الهاشمية وانتقل إليها . [40]

لكن في الوقت نفسه أثار تدخل أبي مسلم في شؤون السلطة العباسية وتنامي نفوذه حفيظة العباسيين وتخوفهم منه ، وقد عبرت المصادر الأولى عن ذلك بقولها : أن أبا مسلم «**كان ثقيل الوطأة على السفاح**» ، وبأنه «**كثر خلافه إياه ورده لأمره**» . [41] ويضيف البلاذري بأنه عندما دخل أبو مسلم على أبي العباس السفاح «**أظهر له جفوة لما بلغه عنه** . . .» [42] ، وفي ذلك إشارة إلى قضية تخوف المنصور من أبي مسلم واقتراحه على أخيه التخلص منه بعد عودته من خراسان . وهناك خلاف واضح بين الروايات حول زمن الزيارة التي قام بها المنصور إلى خراسان وطبيعتها . ففي الوقت الذي توحي فيه معظم هذه الروايات بأن هذه الزيارة قد حدثت في أواخر خلافة السفاح وبأمر منه من غير تأكيد للسنة التي وقعت فيها ، فهي تختلف حول طبيعة هذه الزيارة والطريقة التي استقبل بها أبو مسلم أبا جعفر المنصور . ويفسح ذلك المجال للاعتقاد بأن الأخير قد قام بأكثر من زيارة لخراسان ، ونستشهد هنا بروايتين : الأولى رواية

كتاب العيون والحدائق التي تذكر أن السفاح بعث أبا جعفر المنصور عندما اتهم أبا مسلم بأنه على رأي أبي سلمة الخلال . وفي خراسان استقبل أبو مسلم المنصور استقبالاً حسناً ، وأبلغه برده الذي أرسله للسفاح في شأن أبي سلمة ، إلا أن المنصور اقترح على أبي مسلم بأن يقوم هو بقتل أبي سلمة ، فأرسل له أحد رجاله [43] . والرواية الثانية للدينوري الذي قال فيها : «**وجهه إلى خراسان ، وأمره أن يأتي أبا مسلم فيناظره في بعض الأمور ، ووجه معه ثلاثين رجلاً من وجوه القواد وفيهم الحجاج بن أرطأة الفقيه وإسحق بن الفضل الهاشمي ، فلما قدم المنصور على أبي مسلم لم يبالغ أبو مسلم في بره وإكرامه ولم يظهر السرور التام**» [44] . لكن من الصعب القول بأن المنصور قد قام بزيارتين أو أكثر إلى خراسان لمقابلة أبي مسلم الخراساني في فترة خلافة السفاح القصيرة إلا إذا افترضنا أن أبا مسلم كانت لديه نوايا عدوانية أو انفصالية عن السلطة العباسية جهر بها ، وهو افتراض في غير محله . والأرجح هو ما ذكره البلاذري في كتابه أنساب الإشراف حيث حدد طبيعة مهمة أي جعفر المنصور ، وهي أخذ البيعة من أبي مسلم من أهل خراسان بعدما استقر الأمر للسفاح ، والاطمئنان على الوضع هناك ، أي أنه أرسله في بداية خلافته [45] . وهذا يتفق مع سير الأحداث ، فقد كان المنصور مشغولاً طوال عهد السفاح بإخماد الثورات والفتن في شمال العراق والشام ، ثم أصبح والياً على أرمينية والأقاليم المجاورة لها فانشغل خلالها بتأمين الثغور ، وبسط السيطرة ، لما لهذه الأماكن من أهمية خاصة لقربها من حدود البيزنطيين . وفي السنة الأخيرة من خلافته أوكل له السفاح إمارة الحج ، وهي السنة التي توفي فيها 753/136 [46] .

ومعروف أن أبا مسلم الخراساني قد تمت مكافأته بولاية إقليم خراسان بعد نجاح الثورة ، حيث توجه إليها مباشرة بعد أن استتب الوضع للعباسيين واستقر بهم الأمر في العراق ، وقد تجاوز نفوذه وصلاحياته السياسية والعسكرية إقليم خراسان ، وشملت جميع ما يعرف اليوم بإيران ، وكان يعزل ويعين الولاة على هذه الأقاليم [47] ، فالأوضاع السياسية فيها كانت غير مستقرة على رغم سيطرة العباسيين وكانت بحاجة إلى رجل قوي كأبي مسلم الخراساني لإدارتها ، الذي

كان يهدف أيضاً إلى تعزيز مركزه وتوسيع رقعة نفوذه .

وخلال فترة وجوده في خراسان زمن الخليفة السفاح كان أبو مسلم يراقب التطورات في البلاط العباسي ، وكانت عيونه يوافونه بالأخبار بشكل مستمر ، وهي الطبيعة التي ميزت أبا مسلم واشتهر بها قبل إعلان الثورة زمن الأمويين . فقد كان دائم اليقظة والحذر ؛ ذلك أن الثورة العباسية بعد نجاحها بدأت تتخلص من رموزها الكبار كما سنرى .

ومن الواضح أن المنصور بدأ يشعر بالخوف من خطورة أبي مسلم وتنامي نفوذه ، سواء لمس ذلك إبان فترة زيارته لخراسان أو من خلال عيونه الذين كان يوافونه بأخبار أبي مسلم ، ولا شك أنه حذر أخاه السفاح من أبي مسلم وطلب منه عزله ، لكن السفاح رفض ذلك لمكانة أبي مسلم في الدعوة والثورة .

وفي عام 753/136 ، استأذن أبو مسلم الخليفة العباسي السفاح للخروج في موكب كبير وجيش عظيم لأداء فريضة الحج طمعا في رئاسة الموسم ، وهنا دقّ ناقوس الخطر في مركز السلطة العباسية وساورت الشكوك الخليفة العباسي ، فما كان منه إلا أن طلب من أخيه المنصور القدوم إلى العراق وتوليه رئاسة الموسم ، وفي الوقت نفسه كتب إلى أبي مسلم «**أن أقبل في ألف فإنما أنت في سلطان أهلك ودولتك وطريق مكة لا يحتمل العساكر**» . [48]

وإذا كان أبو العباس السفاح قد حرص على عدم استفزاز أبي مسلم الخراساني أو الإساءة لجهوده في الثورة أو لاعتبارات سياسية ، فإن هوة الخلاف بين أبي جعفر المنصور وأبي مسلم أخذت تتسع ، وترسَّخَ اقتناعه بالتخلص من أبي مسلم بعد أدائه فريضة الحج . ومن الأسباب التي اسهمت في هذا الخلاف أيضاً ، قتل أبي مسلم لسليمان بن كثير قبل تولي المنصور الخلافة [49] ، وهو أمر أثار غضب المنصور واستياءه من أبي مسلم ، لأنه تخطى بذلك حدود سلطته وصلاحياته ، وهو موضوع جدير بالاهتمام .

فبعد انتهاء مرحلة الحرب وسقوط الأمويين ونهايتهم تلك النهاية المؤلمة

القاسية على يد العباسيين ، ظهرت الخلافات بين رفاق الأمس ، وهو أمر تكرر مع كل ثورة أو انقلاب سياسي في التاريخ ، فكان أول الضحايا أبا سلمة الخلاّل ؛ وأصاب أصحابه وعماله ما أصابهم ؛ إذ أرسل أبو مسلم إلى فارس من يضرب أعناقهم [50] ، ولكن لسنا هنا بصدد مناقشة قضية مقتل أبي سلمة الخلال وما قيل فيها وما كتب عنها ، وإنما يهمنا مناقشة مقتل سليمان بن كثير وسبب خلافه مع أبي مسلم .

إن الروايات التي بين أيدينا ـ مع قلّتها وعدم توسعها في تفاصيل قضية مقتل سليمان بن كثير وأسبابها ـ توحي بأن الخلاف بينه وبين أبي مسلم كان مستفحلا ويعود إلى بداية الثورة . ففي رواية **أخبار الدولة العباسية** يقول المؤلف :«**ولما مدّ أبو مسلم يده إلى كتاب إبراهيم ليأخذه حذفه سليمان بن كثير بالدواة فشجه ، فسال دمه على وجهه ، وقذفه بشير بن كثير أخو سليمان ، فقام أبو مسلم عن المجلس وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من إمامكم ، ونهض مع أبي مسلم من المجلس ناجية بن أثيلة الباهلي ومحمد بن عُلوان المروزي فجعلا يغسلان الدم عن وجهه وهو يقول : لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون . وشق محمد بن علوان من أسفل ثيابه عصابة فعصب بها رأس أبي مسلم ، وافترق القوم عن مجلسهم مختلفين . فكانت النقباء تحب أن تضع من أبهة سليمان بن كثير ، وكان أن يترأس عليهم أجنبي ليس منهم أروح عليهم وأوفق لهم ، فاجتمعت الكلمة من الشيعة على ترئيس أبي مسلم ، وخذلوا سليمان بن كثير وأفردوه .**» [51]

ويقف وراء هذا الانقلاب الذي أحدثه أبو مسلم ، مع حداثة عهده بشؤون الثورة وصغر سنه ، عاملان رئيسان : الأول : عدم رغبة أنصار الثورة في رئاسة سليمان بن كثير كبير النقباء ، الذي يبدو أنه كان يحظى بدعم وتأييد قوي من السفاح والمنصور ، وذلك بسبب تفرده وتسلطه في إدرة شؤون الدعوة . والثاني : قوة شخصية أبي مسلم وهيبته وفصاحة لسانه ، مما حدا به إلى التجرؤ والرد على سليمان بن كثير في مجلسه ، وذلك بدعم قوي من إبراهيم الإمام .

وبعد أن حسم أبو مسلم الأمر لصالحه وقاربت الثورة على الاندلاع لم يبق لسليمان بن كثير خيار آخر غير الرضوخ للأمر الواقع ، والقبول بقيادة أبي مسلم على مضض خشية الفتنة والخلاف في هذ المرحلة الحرجة التي قد تؤدي إلي تصفيته واغتياله ، فسارع إلى مصالحة أبي مسلم قائلاً : «**أحسن بي الظن فلأنا أطوعُ لك من يمينك**» . (52)

ويفسر ذلك مدى خطورة أبي مسلم وسطوته وهيبته ، التي دفعت كبير الدعاة وأحد أركان الدعوة العباسية إلى أن يطلب منه العفو والصفح . ولم يكن الخلاف بين الاثنين نتيجة سبب مباشر ، وإنما هو تنافس على السيادة والريادة والولاء . ويروي لنا البلاذري قول سليمان بن كثير عندما بدأ نجم أبي مسلم في الصعود «**حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء**» (53) . وكان يقلل من شأنه ويتحدث عليه ، فكان عيون أبي مسلم ينقلون له ذلك ، ومن ذلك أن سليمان بن كثير أخذ عنقود عنب فقال : «**اللهم سوّد وجه أبي مسلم كما سودت هذا العنقود واسقني دمه**» (54) .

ولاشك أن الذي جعل أبا مسلم يتجرأ ويتمادى في معاملته لكبير الدعاة بخراسان ، تولية إبراهيم الإمام الرئاسة له ، وما صاحب ذلك الأمر من خطاب قوي منه يعني ضمناً إطلاق يد أبي مسلم في هذه المرحلة الحاسمة ، وهي مرحلة الظهور والثورة واتخاذ القرارات المنفردة من غير رجوع إلى مركز القيادة ، لما قد يترتب على التأخير من نتائج عكسية على وضع الثورة في خراسان ، وعن ذلك يقول السمعاني : «**كان (سليمان بن كثير) مقدماً إلى أن قدم أبو مسلم مرو ومعه كتاب إبراهيم بن محمد الإمام بتولية الإمارة عليهم ، فاشتد ذلك على سليمان . . .**» (55) . وخلاف كهذا لا يمكن أن ينتهي بسلم بين اثنين من كبار قادة الثورة ودعاتها ، فبعد تولي أبي مسلم زمام الأمور في خراسان تخلص من سليمان بن كثير ، غير أن المنصور لم يغفر له هذا الفعل وانتظر الوقت المناسب لمحاسبته .

بداية النهاية

كانت بداية الخلاف الواضح والعلني عام 753/136 ، وهو العام الذي توفى فيه السفاح ، حيث توجه المنصور وأبو مسلم كل في موكبه لأداء فريضة الحج . وكان أبو مسلم كما ذكرنا استأذن السفاح للحج ، طمعاً في تولي الرئاسة ، ولكن السفاح قطع عليه الأمل ، ووجه أخاه المنصور ، ومن ثم فإن أبا مسلم لن يستطيع التقدم على المنصور وتولي رئاسة الموسم (56) . وفي مكة قام أبو مسلم بأعمال خيرية كثيرة ، منها إصلاح البيوت والطرق ، وأمر بحفر الآبار على نفقته ، فأحبه الناس وتذاكروه في مجالسهم فاضطغنها عليه المنصور ، وفي ذلك يقول البلاذري : «**كان أبو مسلم يصلح العقاب ، ويكسو الأعراب في كل منزل فكان ذلك يغيظ أبا جعفر ويرى أنها استطالة منه عليه**» (57) . وعند عودته بلغه وفاة السفاح فكتب إلى المنصور يعزيه ولم يهنئه بالخلافة وهو «لا يعلم باستخلافه إياه» ؛ وتجدر الإشارة إلى أنه عندما غادر كل من المنصور وأبي مسلم العراق لم يكن السفاح قد عين له ولياً للعهد ، فلما أتاه أنه استخلفه كتب إليه يهنئه بالخلافة ، ويؤكد ولاءه وإخلاصه له مثلما كان لأخويه من قبل إبراهيم والسفاح ، (58) لكن المنصور كتب إليه كتاباً شديداً . ويعلق ابن خلكان على ذلك بقوله : «**صدرت من أبي مسلم أسباب وقضايا غيرت قلب المنصور عليه فعزم على قتله**» (59) . ومن هذه الأسباب أيضاً استخفاف أبي مسلم بمراسلات المنصور قبل توليه الخلافة وبعده ، وقد كان عيون المنصور ينقلون له ذلك ، ويضيف البلاذري سبباً آخر مهماً ، وهو محاولة أبي مسلم المبايعة لعيسى بن موسى عند وصوله الأنبار عاصمة الخلافة المؤقتة قبل وصول أبي جعفر المنصور العائد من الحجاز فعلم بذلك المنصور ، «فحقد كل واحد منهما على الآخر» . (60)

وسواء أخذنا بجميع هذه الأسباب أو ببعض منها ، فهي بلا شك تكشف عن حقيقة العلاقة بين الشخصيتين ، والتي كانت دائما مشحونة بعدم الثقة وربما بالحقد والكراهية . وما كان أمام أبي مسلم من خيار غير تقبل الأمر الواقع ومبايعة الخليفة الذي لم يكن يتمنى وصوله إلى كرسي الخلافة ، فأرسل رسالة

اعتذار مطولة تحمل الكثير من المعاني وتكشف عن حقيقة العلاقة بين الاثنين قال فيها : «**أما بعد ، فقد كنت اتخذت أخاك إماماً على الدين دليلاً لقرابته والوصية التي زعم أنها صارت إليه ، فأوطأني عشوة (ركوب الأمر على غير بيان) الضلالة ، . . . ، وأمرني أن آخذ بالظنة ، وأقتل على التهمة ولا أقبل المعذرة ، فهتكت حرمات حكم الله صيانتها ، وسفكتُ دماء فرض الله حقنها ، وزويتُ الأمر على أهله ، ووضعته منه في غير محله ، فإن يعف الله عني فبفضل منه ، وإن يعاقب فبما كسبت يداي ، وما الله بظلام للعبيد . . .**» (61) .

وقد وردت هذه الرسالة في أكثر من مصدر باختلاف بعض الألفاظ ، مما يدلل على أصالة حدوث الوقائع التي تذكرها ، وبأن الخلاف بين المنصور وأبي مسلم قد لقي اهتمام الناس والرواة على حد سواء ، وكان حديث مجالسهم قريباً من فترة التدوين والكتابة ، لذلك تم حفظ ما ورد فيها من معان ؛ وفيها يحاول أبو مسلم أن يشرح للمنصور ويوضح أن ما قام به من عمل ـ سواء أعجبه أو لم يعجبه ـ إنما قام به قبل توليه الخلافة ، وبموافقة أوعدم غضب أو استياء من أخويه إبراهيم والسفاح ، وكأنه بذلك يريد فتح صفحة جديدة مع المنصور يثبت فيها ولاءه وإخلاصه له كما كان لأخويه من قبل ، لذلك وافق على التصدي لعبدالله بن علي عم المنصور وأحد كبار القادة الذين أنجبتهم الثورة العباسية وأكثرهم خطورة ودموية . فهل كان هذا العمل الخطير المهم سيشفع لأبي مسلم؟ هذا ما راهن عليه أبو مسلم .

أشرنا في بداية هذا البحث إلى أن المنصور اعتمد سياسة الشدة والحزم منذ الأيام الأولى لتوليه الخلافة ، وقد كان لهذه السياسة أثر حاسم في تحجيم قوة أبي مسلم الخراساني والحد من طموحه مثلما كان الأمر مع عبدالله ان علي . وقد رضخ أبو مسلم الخراساني لطلب المنصور حين أمره بالتوجه إلى ملاقاة عمه عبدالله بن علي ، ثم رضخ له مرة أخرى بعد تردد عندما طلب منه مقابلته وعدم التوجه إلى خراسان ليلقى حتفه .

كيف يمكن تفسير هذا التصرف من قبل قائد محنك عركته التجارب

المجلة العربية للعلوم الإنسانية 104 العدد 22/87

وشغل الدنيا في عصره . الواقع أن أبا جعفر المنصور لم يعط أبا مسلم الخراساني أية فرصة للمناورة أو الهروب من تحمل المسؤولية . هذا ما أجمعت عليه المصادر . لكن هل كان بإمكان أبي مسلم رفض أوامر المنصور؟ إن المعلومات المتوافرة بين أيدينا توحي بأن أبا مسلم راهن على كسب ثقة المنصور حتى آخر لحظة ، لكنه في الوقت نفسه كان مترددا ومتخوفا من نوايا المنصور . ولإلقاء مزيد من الضوء على هذه المسألة لابد من مناقشة هذه المعلومات وتحليلها .

إن أبا مسلم يعلم تمام العلم أنه استمد قوته وشهرته التي بلغت الآفاق من البيت العباسي الحاكم ، وتمرده على هذا البيت يعني نهايته ، فهو ليس كعبدالله ابن علي عم المنصور الذي قد يلجأ إلى أفراد عائلته إذا ألمت به الملمات ودارت عليه الدوائر ، وليس كمحمد النفس الزكية الذي عجز المنصور عن معرفة مكانه والوصول إليه فترة طويلة من الزمن ، وذلك لتوافر سبل الحماية والتستر له من قبل أفراد عائلته وأنصاره . كما أن الحنكة والدهاء وحدهما لا يكفيان مع خليفة كالمنصور الذي عرفه بدهائه ومكره وقوة شخصيته . لذلك باءت محاولة أبي مسلم الوقوف موقف الحياد في الخلاف الذي وقع بين المنصور وعمه عبدالله بن علي بالفشل ، فوافق على التوجه إلى الشام لإخماد الثورة . [62] وبذلك نجح المنصور في إبعاد أبي مسلم عن خراسان مركز قوته من جهة ، كما أنه كان في حاجة ماسة إلى مساعدة أبي مسلم في مواجهة عمه عبدالله الذي كان يتمتع بسمعة عسكرية كبيرة ، وهو يعلم تمام العلم أن جيش أبي مسلم القوي وولاء جنده المطلق له سيكونان عاملاً حاسماً في هذا الصراع ، لاسيما أن عبدالله بن علي لا يتمتع بأية شعبية في بلاد الشام . كما راهن المنصور على انحياز جند خراسان الذين كانوا مع عمه عبدالله لأبي مسلم إذا وقعت المعركة [63] . لهذه الأسباب تشدد المنصور في موقفه تجاه أبي مسلم ، ولم يترك له أي مجال للمراوغة والتنصل من هذا التكليف ؛ وبذلك نجح في ضرب الاثنين معا ، لكي يسهل عليه الأمر بعدها في التخلص من الناجي منهما . وعلى الرغم من أن عبدالله بن علي لم يقتل في المعركة ولجأ إلى أخيه سليمان بن علي والي البصرة ، فإن هروبه هذا أنهى حياته السياسية والعسكرية المفعمة بالأحداث الجسام . [64]

ولا شك أن أبا مسلم يعلم تمام العلم أنه بموافقته على مواجهة عبدالله بن علي كان يقدم خدمة جليلة للمنصور راهن عليها لكسب ثقة المنصور ووده ، لكنه أخطأ التقدير ، كما ارتكب أخطاءً أخرى استغلها أعداؤه المتربصون به ، وأوغروا صدر الخليفة ضده لعلمهم أنه يحمل عليه كثيرا . ومن هذه الأخطاء ما ذكره البلاذري : من أن أبا مسلم أطلق الأسرى ، ووهب لكل أسير أربعة دراهم ، ولم يقتل إلا أسيراً واحداً يدعى أبا غسان لدفاعه عن عبدالله بن علي ، فأغضب هذا التصرف المنفرد أبا جعفر المنصور ، فكان رد أبي مسلم الخراساني أن الثغور في الشام والجزيرة بحاجة إلى الجنود ، وسأله الصفح عنهم ، وأرسل مجموعة من أشرافهم إلى البصرة .[65]

نهاية أبي مسلم ومقتله

لم يكن المنصور ليحسن الظن في شخص يكرهه ولا يثق به ، كما أن الدور الذي أوكل إليه القيام به قد تم بنجاح ، ولن يكون هناك خطر يضاهي خطر عبدالله بن علي إلا خطر أبي مسلم نفسه ، وهذا يفسر لنا القول المنسوب لأبي أيوب المورياني وزير المنصور «**نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبدالله بن علي إلا أننا نرجو واحدة**» .[66] ولذلك سارع المنصور بإرسال ممثله الخاص يقطين بن موسى ، ومولاه أبي الخصيب مرزوق (ثم أصبح حاجبه بعد ذلك) للإشراف على توزيع الغنائم في خطوة استفزازية أثارت غضب أبي مسلم واستياءه . فقد كان المنصور يهدف من ورائها إلى تأكيد سلطته بوصفه أميراً للمؤمنين على أبي مسلم تمهيداً لإبعاده عن معقله الحصين خراسان وتحجيم قوته والتخلص منه .[67]

وتشير بعض المصادر إلى أن المنصور أتبع هذه الخطوة بخطوة أخرى وهي تعيينه واليا على الشام ومصر ؛ وقد أدرك أبو مسلم مغزى هذا التصرف ، وأعرب عن اعتراضه بكل صراحة ووضوح على إجراءات المنصور ، وقرر التوجه إلى خراسان ، معلنا استياءه من سياسة المنصور تجاهه . لكن رفضه هذا الأمر أعطى مبرراً كبيرا وحجة قوية للمنصور ـ كان قد خطط لها ـ لاتخاذ إجراءات

صارمة وخطيرة تجاه أعظم قائد عسكري أنجبته الثورة العباسية فكانت بداية النهاية .[68] أما صاحب كتاب **العيون والحدائق** فإنه لا يذكر رواية تعيين المنصور لأبي مسلم على الشام ومصر ، وكذلك المسعودي واليعقوبي ، ونحن نميل إلى عدم صدق هذه الرواية ، لأن جميع المراسلات التي جرت بين الشخصيتين ، والتي ذكرتها المصادر المختلفة بما في ذلك الطبري ، لا يرد فيها ذكر ولاية الشام ومصر ، ولو كان المنصور قد فعل ذلك لأفسد على نفسه خطة التخلص من أبي مسلم .[69]

أما السبب المباشر لغضب المنصور فهو ما ذكره البلاذري من أن أبا مسلم كان يثق بيقطين بن موسى ويسامره قبل تولي المنصور الخلافة ، وعندما قدم عليه لإحصاء الغنائم غضب أبو مسلم عليه وتطاول بلسانه على المنصور ظناً منه أن صديقه الحميم لن يشي به عند الخليفة ، لكن الأيام كانت قد غيرت الصديق وبدلته ؛ فطاوعته نفسه على الوشاية عند من إذا قال فعل .[70]

وتحسباً لأية مفاجآت قد يتخذها أبو مسلم اتبع المنصور أساليب المكر والخداع والتضليل في مراسلاته معه ، بغية زرع الثقة والطمأنينة في نفسه . ويبدو هذا واضحاً وجلياً في الدور الذي قام به بعض أعيان السلطة العباسية ، ونخص منهما اثنين ، هما عيسى بن موسى وجرير بن زيد البجلي اللذين استعان بهما المنصور للتأثير على أبي مسلم والفت في عضده ، وإقناعه بضرورة مقابلة الخليفة ، ثم مواصلة سيره بعد ذلك إلى خراسان ، دون أن يلمح لهما بما هو عازم أو مقبل بعد ذلك ، وقد نجح المنصور نجاحاً كبيراً في ذلك ، ومكنته هذه الخطوة من الإيقاع بعدوه دون خسائر أو أضرار .

ولاشك أن عيسى بن موسى ولي عهد المنصور آنذاك ، والصديق الحميم لأبي مسلم ،[71] كان العامل الحاسم الذي تسبب بحسن نية في ثني أبي مسلم عن المسير إلى خراسان ومقابلة المنصور ليلقى حتفه . أما جرير بن يزيد بن عبدالله البجلي أحد دهاة العرب والذي استطاع ـ كما يقول المسعودي ـ أن يقنع أبا مسلم بكلامه وسحره فقال له : «**أيها الأمير ، ضربت الناس عن عرض لأهل**

هذا البيت ، ثم تنصرف على هذه الحالة؟ ما آمن أن يعيبك من هناك ومن ههنا ، وأن يقال طلب بثأر قوم ثم نقض بيعتهم ، فيخالفك من تأمن مخالفته إياك ، وإن الأمر لم يبلغ عند خليفتك ما تكره ، ولا أرى أن تنصرف على هذه الحال» [72] .

لا شك أن هذا الحوار أعطى لجرير اليد العليا لقوة شخصيته ودهائه وفصاحه لسانه من جهة ، ولأنه مبعوث الخليفة من جهة أخرى ؛ وقد أهله ذلك لتوجيه هذا الحوار التوجيه الذي أراده الخليفة ، وساعده في ذلك عيسى بن موسى الذي ضمن لأبي مسلم الأمان من المنصور . [73] كذلك حملت معظم الرسائل المكتوبة والشفوية التي أرسلها المنصور إلى أبي مسلم في مضمونها تأكيد دوره ومكانته في خدمة الدعوة العباسية ؛ وهو الأمر الذي دفع به المنصور على جميع الجبهات بأساليب وطرق ملؤها المكر والخداع ؛ ليوحي لأبي مسلم وأنصاره وعيونه وجواسيسه بحسن نواياه وقد عقب ابن خلكان على ذلك بقوله : «**فلم يزل المنصور يخدعه بالرسائل حتى أحضه إليه**» . [74] والسبب وراء زج المنصور بكل الوسطاء والرسائل إلى أبي مسلم هو محاولة الأخير الاعتذار عن مقابلة المنصور وتخوفه من نواياه ، وإصراره على المضي قدما نحو خراسان ، وهو الأمر الذي أفزع المنصور وأقلقه . فقد جاء في الرسالة التي بعث بها أبو مسلم للمنصور قوله : «**وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان : أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ؛ فنحن نافرون من قربك ، حرصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ، حريّون بالسمع والطاعة ، غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة ، فإن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك ، فإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضنّاً بنفسي**» . [75]

إلا أن المنصور وباستنفاده جميع الطرق والوسائل لم يترك لأبي مسلم أي عذر أو مجال للتهرب والمراوغة . ولعل العامل الحاسم الذي فتّ في عضده أيضاً وقوف نائبه على خراسان خالد بن إبراهيم الذهلي إلى جانب المنصور ، حيث استطاع الأخير وبدهائه أن يفرق بينه وبين أبي مسلم ، وأن يغريه بولاية

خراسان ، فكتب إلى أبي مسلم «**إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه ، فلا تخالفن إمامك ، ولا ترجعن إلا بإذنه**» . (76)

وإزاء هذا الحصار الذي حاصره به المنصور استشار أبو مسلم المخلصين من أتباعه منهم أبو النصر مالك بن الهيثم أحد قواده الكبار ونهاه عن الذهاب لمقابلة المنصور وأشار عليه بالتوجه إلى خراسان ومكاتبته منها . (77) ومنهم شخص فارسي يدعى نيزك تذكر المصادر أنه كان يرجع إليه في أكثر أموره لكنها لا تعطي أية معلومات عنه ، وأنه كان مقرباً جداً من أبي مسلم ، أشار عليه هو الآخر بعدم التوجه لمقابلة المنصور والمضي قدما نحو الري . (78) وهناك رواية مهمة للذهبي يذكر فيها أن أبا مسلم استدعى أبا إسحق خالد بن عثمان المروزي ، وهو من الفرس وكان ممن يثق بهم ، فشاوره في الأمر وقال له : «**هذه سيوف أبي جعفر من خلفنا وقد أنكرت من كنت أثق به من أمرائى**» (79) فرد عليه أبو إسحق : «**أيها الأمير هذا رجل يضطغن عليك أموراً متقدمة ، فلو كنت إذ ذاك هداك رأيك وواليت رجلاً من آل علي كان أقرب ، ولو أنك قبلت توليته إياك . . . الشام والصائفة مدت بك الأيام ، وكنت في فسحة من أمرك ، فوجهت إلى المدينة فاختلست علويا فنصبته إماما فاستملت به أهل خراسان وأهل العراق ورميت أبا جعفر بنظيره لكنت على طريق تدبير ، أتطمع أن تحارب أبا جعفر وأنت بحلوان وعساكره بالمدائن وهو خليفة مجمع عليه؟ لكن بقي لك أن تكتب إلى قوادك . . . قال هذا رأي إن وافقنا عليه قوادنا ، قال فما دعاك إلى خلع أبي جعفر وأنت على غير ثقة من قوادك . . . أرى أن توجّه بي إليه حتى أسأله لك الأمان ، فإما صفح ، وإما قتل على عز ، قبل أن ترى المذلة والصغار من عسكرك ، إما قتلوك وإما أسلموك**» . (80)

تحمل هذه الكلمات معاني كثيرة ، فمن جهة تدل على فقدان أبي مسلم ثقته بأتباعه وأنصاره الذين استمالهم المنصور ، ومن جهة أخرى تشير إلى إصابة أبي مسلم باضطراب ذهني وعدم قدرة على إدراك نوايا المنصور المقبلة . وتحمل إجابة أبي اسحق معاني كثيرة هي الأخرى ، وتكشف عن مدى عمق الخلاف

بين اثنين من كبار قادة الثورة العباسية . ولا يذكر الطبري هذا الحوار وإنما يؤكد ثقة أبي مسلم بأبي اسحق وبأنه أرسله إلى المنصور ، ويضيف قائلا : «**فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب وقال له : أبو جعفر : اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان . . . فرجع أبو إسحق إلى أبي مسلم فقال له : ما أنكرت شيئاً ، رأيتهم معظمين لحقك ، يرون لك ما يرون لأنفسهم . وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين فيعتذر له مما كان منه**» (81) وهذه الإضافة إنما هي من نسج الرواة الذين لم يحيطوا بكل ما كتب عن هذا الخلاف ، وذلك لأن أبا إسحق لم يأت إلى المنصور إلا بعد أن تكشفت له أمور كثيرة ، منها ما كتبه أبو جعفر إلى أبي داوود خليفة أبي مسلم على خراسان . ولا يمكن للمنصور أن يحتال بمثل هذه الحيلة على أبي إسحق وهو من هو عند أبي مسلم ، بل نرى أنه بذل كل جهد في سبيل إقناع أبي إسحق بأنه لا خوف على أبي مسلم إذا قدم لمقابلة الخليفة ، وفي الوقت نفسه وضع عليه العيون لمراقبته ، ومعرفة تحركاته خشية أن يكون هدف قدومه إلى المنصور غير الذي أعلن عنه . ويؤكد ذلك ما رواه الطبري أيضا من أن المنصور قد هم بقتل أبي إسحق ثم عدل عن ذلك (82) . كل ذلك يؤكد على السرية المطبقة التي أحاط بها المنصور قراره النهائي في شأن أبي مسلم خشية تسرب أية معلومات قد تؤدي إلى تعقيد المسألة ، وتجبره على تقديم تنازلات تنقذ حياة ذلك القائد الذي حرص على التخلص منه .

هكذا ساقت الأقدار أبا مسلم إلى حتفه ، وهكذا نجح المنصور بدهائه ومكره في شل قدرات أبي مسلم الذهنية ، وأثر تأثير حادا على تفكيره ، فلم يستطع أبو مسلم إيجاد مخرج لهذه المصيبة التي ألمت به ولم يحسب لها حساباً وهو في أوج عظمته ؛ فاستجمع ما تبقى لديه من قوة ، وتوجه إلى المدائن لمقابلة الخليفة ؛ فقد بذل كل ما في وسعه لتجنب هذه المقابلة بالوسائل السلمية ، ورفضه أوامر الخليفة ، وتمرده على السلطة العباسية التي قاتل من أجلها أكثر خطورة ؛ هذا ما راهن عليه أبو مسلم مرة أخرى ، وهو لا يعلم أن نهايته ستكون في هذه المقابلة .

لم يكن أبو مسلم ـ وهو لا يزال في عنفوان شبابه لم يتجاوز السادسة أو

السابعـة والثلاثين من عـمره ـ ليستـحق ذلك المصير المحترم الذي لم يستطع الإفلات منه ، وهو الذي شغل الدنيا حين أقبلت عليه ، وأنهى دولة عظيمة ، وأقام دولة استمرت خمس مئة سنة ؛ فكان كما قال الشاعر : (83)

ما للرّجال مع القضاء محالة ذهب القضـاءُ بحيلة الأقوام

أخيراً كتب أبو مسلم إلى المنصور يخبره بأنه منصرف إليه ، واتخذ التدابير الاحترازية التي لن تغنيه شيئاً ، حيث أمر أبا النصر مالك بن الهيثم الخزاعي أحد قواده المخلصين المكوث في حلوان وقال له : «**أقم حتى يأتيك كتابي ، فإن أتاك مختوماً بنصف خاتم فأنا كتبته ، وإن أتاك بالخاتم كله فلم أختمه . . . ، وصحب معه نحو ثلاثة آلاف فارس بأسلحتهم إلى المدائن**» . (84) ويروي الطبري أن المنصور بعدما قتل أبا مسلم بعث إلى أبي النصر يطلب منه القدوم إليه بما لديه من أحمال وغنائم وختم الكتاب بالخاتم كله ، فلما وصله علم بمقتل أبي مسلم فتوجه نحو خراسان . فكتب له المنصور كتاباً آخر بالأمان وبولاية شهر زور (كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان) ، ثم كتب إلى عامله بهمذان «**إن مر بك أبو النصر فاحبسه**» ، لكن المنصور عفا عنه في نهاية الأمر . (85)

لا شك أنه كان لأبي مسلم عيون على المنصور ، ولو كان يعلم بذلك المصير لما تحرك خطوة واحد من حلوان ، لكن المنصور ببراعته استطاع تضليل عيون أبي مسلم ، فلم يتمكنوا من الوقوف على حقيقة نواياه تجاه أبي مسلم . ولا شك أيضا أن خصوم أبي مسلم ومنافسيه ممن تقلدوا مناصب عليا في بلاط الخليفة المنصور كانوا يتربصون به الدوائر ، ووجدوا في هذا الخلاف فرصة كبيرة للتخلص منه ، فباستثناء عيسى بن موسى وبعض الأعيان من ليست لهم مصلحة في هذا الخلاف ، فإن غالبية الذين استشارهم المنصور في أمر أبي مسلم أشاروا عليه بقتله . (86) وسبب هذه الكراهية العصبية بكل أشكالها وأنواعها التي يغذيها الحقد والحسد ، وحب الذات والتنافس على النفوذ والسلطة ولو على حساب رقاب الآخرين . وتاريخنا العربي والإسلامي يحفل بكثير من مثل هذه

الحالات التي كانت ولا تزال سمة من سمات التخلف ، وسببا من أسباب الهدم والضعف والاضمحلال ، فلو استجاب ابن هبيرة لطلب نصر بن سيار ، وسير جيشه الذي كان آنذاك أكثر جيوش الدولة الأموية تنظيماً وقوة قبل استفحال الأمر لما حدث ، ثم ندم حيث لا ينفع الندم . (87)

لم يكن المنصور بحاجة إلى أية ذرائع أو حجج لقتل أبي مسلم بعدما وقع في الفخ الذي نصبه له ، فهو السلطان والمشرع والمنفذ ، ولعل المسعودي أول من وصفه بالاستبداد حين قال عنه : «**ولما أراد المنصور قتل أبي مسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشورة فيه**» . (88)

اتخذ المنصور كل الإجراءات الاحترازية ، حتى إنه لم يصارح مستشاريه الذين أشاروا عليه بقتل أبي مسلم . والأمر المهم والخطير الذي اتخذه المنصور هو طمأنة أبي مسلم وأنصاره وعيونه المنتشرين في بلاط الخلافة على حسن نواياه ، فاتفق على سبيل المثال مع سلمة بن سعيد بن جابر ـ من أعوان المنصور المخلصين وولاه على الفرات والأبلة بعد مقتل أبي مسلم ـ على أن يأتي أبا مسلم ويعرفه أن أمير المؤمنين قد عزم على أن يوليه ما وراء بابه ، ويستريح ويريح نفسه ، وأن يسأل أبا مسلم أن يوليه ولاية كسكر . (89)

وفي الوقت الذي كان المنصور يأمر عيونه والمخلصين له بإشاعة أخبار سارة للقاء المرتقب وللمكانة الكبيرة التي يحظى بها أبو مسلم عند المنصور ، كان قد اتخذ إجراءات أمن مشددة دون ملاحظة الناس ذلك ، وزيادة في طمأنة أبي مسلم وأنصاره وجه له المنصور ولي عهده عيسى بن موسى الذي كان عامل حسم للقاء المرتقب ، حيث ضمن له أمان الخليفة قبل قدومه إلى المدائن وبعده . (90) لم يكن هدف المنصور من اتخاذه كل هذه الإجراءات تخوفه من ردود الفعل بعد تنفيذ حكمه في أبي مسلم ، فدنانير ذهبية قليلة ستنسي أنصاره كل شيء ، وإنما هدفه هو فرض ستار من السرية والكتمان على ما هو قادم عليه ، وبخاصة أن أبا مسلم قدم إلى المدائن ومعه ثلاثة آلاف مقاتل .

لقي أبو مسلم الحفاوة والترحيب من أتباع المنصور ، وبخاصة بنو هاشم ،

فهدأ ذلك من روعه ، لكن الذي أدخل الطمأنينة إلى قلبه وقطع شكوك الناس الطريقة التي استقبل بها المنصور أبا مسلم ، وما دار بينهما من حوار حميم وعتاب لم يوح بتاتاً بأية شكوك لمن شهد هذا الاستقبال ، ثم انصرف أبو مسلم دون أن يحدث أي شيء ، وقد كان ذلك بمشورة أبي أيوب المورياني وزير المنصور وفق رواية الطبري [91] ، لكن الذي نراه أن تفاصيل هذه الرواية وما تضمنه من حياكة لمؤامرة دبرها المنصور مع وزيره هي من نسج الرواة . حيث تكثر القصص التي روت تفاصيل الخلاف بين المنصور وأبي مسلم ، وكثير من هذه القصص نسجها الرواة لإثارة متعة القارئ ، وسد ثغرات التسلسل الزمني لحادثة هذا الخلاف ، على الرغم من أنها توافق سير الأحداث ، ولابد أنها قد أقنعت القارئ العادي في الفترة التي كتبت فيها ، والواقع أنه لا أحد يعرف ما حدث في الليلة التي سبقت مقتل أبي مسلم .

وعندما حانت ساعة تنفيذ القرار لم يحتج المنصور إلى كثير عناء أو بذل جهد كبير في إيجاد منفذين له . فشخصية المنصور التي اتسمت منذ اللحظات الأولى لتوليه الخلافة بالشدة والبطش دونما أية رحمة أو شفقة ، جعلت أوامره تنفذ من غير تردد أو استفسار ، وبخاصة أن لأبي مسلم أعداء كثيرين يتطلعون إلى رؤية إذلاله وإهانته . لقد تبدلت الأحوال وارتد السيف الذي أطاح بدولة بني أمية إلى صدر حامله ، حيث استدعى المنصور عثمان بن نهيك رئيس الحرس وأربعة من جلاوزته ممن يُعتمد عليهم في مثل هذه الظروف والمهمات الصعبة وهم : شبيب بن واج أو رواح المروزي ، وابن ابنته علي بن أحمد بن بسطام ، وأبو حنيفة حرب بن قيس ، وتم الاتفاق على الخطة والطريقة التي سيتم بها قتل أبي مسلم ، والتدابير المختلفة قبل أداء العملية وبعدها . وكان قتله في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة وعمره ستة وثلاثون عاماً على أرجح الروايات . [92]

كان المنصور يتمتع بصفات قوية في الجرأة والبطش لم يسبقه فيها أحد من الخلفاء . ولاشك أن عملاً كهذا ليس بالأمر السهل اتخاذه ، والمنصور يعرف جيداً أنه سيحدث دوياً تهتز له أركان الخلافة وسيترك جرحاً عميقاً في خراسان

بصفة خاصة وبلاد فارس بصفة عامة ، وسوف تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل ، وسوف تسطر له الصفحات تلو الصفحات ، وتنسج حوله القصص والأساطير ، ولربما جعلت من أبي مسلم بطلاً أسطورياً للفرس [93] ؛ ولاشك أن هذه الهواجس أيضاً أسهمت في تخوف المنصور من أبي مسلم ودفعت به إلى التخلص منه .

وقد يقول قائل إن أبا مسلم استحق ذلك المصير المحتوم ، فلطالما استخدم الأسلوب نفسه مع منافسيه . أليس هو المتهم الأول في قتل أبي سلمة الخلال ، وهو الذي لا يقل عنه شأناً ومنزلة ، وقاتل سليمان بن كثير ، ثم تعقب أتباعه وأنصاره بالسجن والقتل ، ناهيك عما فعله بأمراء العرب الذي وقفوا معه ضد نصر بن سيار ، والذين لولاهم لما تحقق له ذلك النصر الذي بني عليه بنيان دولة بني العباس ، فقتل من قتل ، وعذب من عذب ، وأسر من أسر ، وشرد من شرد ؛ فيتم الأطفال ، وأثكل النساء ، وأهلك الحرث والنسل . ثم بعد ذلك ألم يكن تخوف أبي جعفر المنصور في محله ، فما يدرينا ما الذي كان يسعى أو يخطط له أبو مسلم ، وأن إصراره على التوجه إلى خراسان قد يشعل حرباً أو يحدث فتنة يصعب التكهن بعواقبها .

الواقع إن الباحث في التاريخ الإسلامي يجد بين الروايات التاريخية المختلفة ما يدعم هذا الرأي أو ذلك في قضية أبي مسلم إذا أراد إصدار أحكام مسبقة دون التدقيق والتمحيص في هذه الروايات وغربلتها كما أوضحنا في بداية هذا البحث . فمن خلال تفحصنا لجميع ما توافر لنا منها نجد أن تخوف أبي جعفر المنصور وأوهامه لم تكن في محلها ؛ فجميع هذه الروايات تؤكد إخلاص أبي مسلم للعباسيين ، ولا توحي بأنه كان يضمر نوايا عدوانية تجاه البلاط العباسي . [94] وأن الحجج التي ساقها المنصور في خطبته التي خطبها في الناس بعد مقتل أبي مسلم إنما هي موجهة إلى كل من تسول له نفسه معارضة المنصور وحكمه ، حيث أكد فيها على لزوم الطاعة . [95] وكذلك الأمر بالنسبة للتهم التي ساقها الرواة ، فهي لا تستند إلى حقائق واضحة ، وأن الخلافات

الشخصية قامت بدور كبير في هذا الصراع، وأن الأخطاء التي ارتكبها أبو مسلم كانت تستدعي محاكمة صريحة وعلنية وقت حدوثها، وإنما استغلت ضده عندما أريد التخلص منه وتصفيته جسديا. وتبقى هناك قضية أخيرة وهي لماذا أبطأ عيسى ابن موسى على أبي مسلم وقد اتفقا على الذهاب معا إلى المنصور؟ لقد أشارت جميع الروايات ذات العلاقة بحادثة مقتل أبي مسلم إلى هذه القضية، فهل كان الأمر مدبراً أم كان مصادفة؟ الواقع أننا لا نجد جوابا شافيا لهذه المسألة، فإما أن يكون عيسى بن موسى جاهلاً تماماً بنوايا المنصور، مثلما هو الحال لأبي مسلم الذي ذهب للمقصلة برجله، أو أنه علم في اللحظة الأخيرة بشكل أو آخر فتجنب مشاهدة الحادث. وبعد أن رأى جثة أبي مسلم أرعبه المنظر وأخافه فلم يحرك ساكنا، ولم يتجرأ على سؤال المنصور حتى عن الأمان الذي حمله له والذي لولاه لما قدم أبو مسلم على المنصور. (96)

أما التفاصيل التي أوردها الإخباريون في قضية الحوار الذي دار بين المنصور وأبي مسلم عند مقتله، فهي من نسج أفكارهم وتخيلاتهم لما يمكن أن يدور في مثل هذه اللحظات التي تصدر فيها عقوبة الإعدام. فالخليفة هو الخصم والقاضي ومنفذ الحكم، وستظل حقيقة تلك المقابلة والكلام الذي وجهه المنصور إلى أبي مسلم قبل إعدامه مثار شك، وما قيل وما قد يقال عن ما حدث في هذه المقابلة التاريخية لا يستند إلى حقائق دامغة رويت بأسانيد موثوقة عن المنصور نفسه. ولا سيما أن الإجراءات التي سبقت تلك المقابلة أحيطت بالكتمان والسرية التامة والحيطة والحذر الشديدين، وإجراءات مثل هذ كانت تتطلب أيضاً سرعة اتخاذ القرار والتنفيذ، وأي تأخير أو استجواب أو مناقشة مطولة لربما أفسدت على المنصور خططه وقرار التنفيذ.

الخلاصة

على الرغم مما قيل عن نجاح المنصور، ومما كتب عن عبقريته الفذة ودهائه السياسي في القضاء على خصومه السياسين الواحد تلو الآخر، وهم من هم من بناة الدولة ومؤسسيها، فستبقى قضية خلافه مع أبي مسلم وقتله إياه بتلك

الصورة التي خدعه بها ، بعد أن أعطى له العهود والمواثيق وبدون محاكمة منصفة وعلنية نموذجاً لطبيعة الاستبداد والتسلط في تاريخنا السياسي .

وما فعله أبو جعفر المنصور بأبي مسلم يستحق مزيدا من الدراسة والبحث وذلك لاستخلاص العبر والعظة ، فمما يؤسف له أن كثيراً من الأبحاث والدراسات لم تول هذه القضية أهمية خاصة بالبحث والتحليل ، على الرغم من خطورة نتائجها على النظام السياسي للدولة الإسلامية فقد سوغت هذه الحادثة للمنصور ولخلفائه من بعده اتباع سياسة القتل والتصفية الجسدية لكبار قادة الدولة لأتفه الأسباب ، بحجة المحافظة على وحدة الدولة ، وحماية رأس السلطة وهو الخليفة ، وهو ما أحدث انقلابا جذريا في نظام الحكم الإسلامي . لقد أعطى المنصور لنفسه الحق في الانفراد باتخاذ القرارات العليا ، من غير رجوع إلى أصحاب الحل والعقد وإلى المرجعية الدينية التي استند إليها للوصول إلى دفة الخلافة والدفاع عنها . وبهذه السياسة الجديدة أصيب نظام الحكم الإسلامي بانتكاسة جديدة هي أشد خطورة من الانتكاسة الأولى التي أصابته في زمن الأمويين التي تمثلت بفرض مبدأ الحكم الوراثي في الخلافة . ولعل أول النتائج التي ترتبت على مقتل أبي مسلم ، فقدان الثقة بالخليفة وسياساته . والأدلة على ذلك كثيرة : أهمها قضية محمد النفس الزكية وعدم وثوقه بكل العهود والمواثيق التي عرضها عليه المنصور . أما إقليم خراسان مهد الثورة العباسية فقد اهتز اهتزازا عنيفا بعد مقتل أبي مسلم ، وكان لمقتله أثر كبير على الوضع السياسي هناك ، فاشتعلت فيه الثورات والفتن فحرم ذلك العباسيين من الاستقرار الذي كان متوافراً لهم في هذا الإقليم المهم في مطلع عهدهم . فمنذ اللحظات الأولى لوصول أخبار مقتل أبي مسلم الخراساني ثار أهل خراسان على السلطة العباسية ؛ واضطر المنصور إلى إرسال أكثر من جيش لإخماد الثورات هناك وقاد أحد هذا الجيوش ابنه المهدي (97) . ولم تستقر الأوضاع في خراسان حتى عهد المأمون الذي اضطر إلى الاعتراف بالاستقلال الذاتي لهذا الإقليم ، وترك إدارته لأسرة عبدالله بن طاهر ، فكان أول اقليم من أقاليم الخلافة يمنح هذا الاستقلال . (98)

لقد رسخ المنصور هذا النظام السلطوي الجديد في خطبته الشهيرة التي أكد فيها بأنه ظل الله على أرضه ؛ فسوغ لنفسه حق القضاء على كل من عارضه ، إما بالقتل أو الاغتيال أو السجن أو الإهانة والتعذيب . فلم يسلم من بطشه وعذابه إلا من انزوي بعيدا عن السياسة والحكم . وتاريخ المنصور حافل بسياسات الانتقام التي طالت أعلاما كبارا ورموزا تاريخية ، بدءاً بعمه عبدالله بن علي ، وإن كان يستحق ما لقيه على يد المنصور ، مرورا بأبي مسلم الخراساني وأبناء عمومته من آل أبي طالب محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم ، والطريقة المزرية التي عامل بها أقاربهم ووالدهم عبدالله مع كبر سنه ، لتمتد يده إلى أقصى المغرب محاولة اغتيال أسطورة بني أمية ومحيي دولتهم عبدالرحمن الداخل ؛ فلو نجحت محاولة المنصور لقتله لحل بفجر الوجود العربي الإسلامي في الأندلس ما أسهم في غروب شمسهم قبل طلوعها . ولم يسلم حتى علماء الدين من بطش المنصور وغضبه ، فها هو ذا مؤسس المذهب المالكي وأحد كبار علماء الدين الإسلامي يهان ويضرب وتخلع كتفه دون محاكمة علنية ، وأبو حنيفة النعمان مؤسس المذهب الحنفي يضرب ويسجن لرفضه منصب القضاء فيموت في السجن وقد بلغ السبعين .[99]

هذا ما أثار فضول الأخباريين والرواة ودونوه لنا ، أما المغمورون والعامة ممن طالتهم يد البطش في عصر المنصور وغيره من عصور الخلافة الأولى ، فقلما وجد لهم ذكر في تلك الروايات ، وإنما كانت تذكر أعدادهم من غير ذكر لأنسابهم وأسمائهم ، وهو أمر جدير بالبحث والاهتمام . وسياسة المنصور هذه التي اعتمدت على التهديد والوعيد والانفراد بالسلطة والحكم زرعت بذور الحقد والكراهية في مجتمع أعراقه مختلفة ، وثقافاته متباينة ، وخلقت جوا من المنافسة المبنية على غير القدرات والكفاءات ، وإنما على الدسائس والمؤتمرات ، فانعكس ذلك سلبا على مستقبل الخلافة الناشئة ، حتى إن أنصار الدعوة وحلفاء العباسيين في خراسان والعراق كانت قد تكونت لديهم مخاوف من نوايا النظام . لذلك لم يمتد عمر الخلافة العباسية الفعلي أكثر من قرن من الزمن أو ما يعرف بالعصر الذهبي ؛ والذي تخللته أحداث جسام كان سببها تلك السياسة

التي سنها المنصور وانتهجها من بعده أبناؤه وأحفاده ، ثم آل أمر الخلافة إلى الأمراء ، ودب فيها الضعف والهوان فكانت بمثابة جسد بلا روح ، فأساء إليها أمراء الدول المتعاقبة من الفرس والترك ، فكانوا يخلعون خليفة ويقتلون آخر ، وبذلك انتكس الوضع السياسي للخلافة العباسية ، وسوغ ذلك لمعظم الأمراء والسلاطين والحكام على مر العصور اتباع ذلك النموذج السلطوي الانفرادي الدائم في الحكم .

الهوامش والمراجع

(1) ابن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر (ت : 1362/764) : **فوات الوفيات** ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار صادر ، 1974 ، 216/2 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت : 1505/911) : **تاريخ الخلفاء** ، القاهرة : دار نهضة مصر ، 1976 ، 414 .

(2) الطبري ، محمد بن جرير (ت : 923/310) : **تاريخ الطبري** ، القاهرة : دارالمعارف ، 1971 ، 547-546/7 .

(3) ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت : 889/276) : **عيون الأخبار** ، بيروت : دار الكتاب العربي ، د .ت . ، 251/2 ؛ ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي ، (ت : 328 هـ/ 940م) : **العقد الفريد** ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1983 ، 99/4 ؛ تاريخ الطبري 89/8-90 ، السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت : 1505/911) : تاريخ الخلفاء ، 420 .

(4) تاريخ الطبري ، 88/8 .

(5) أحمد بن علي حجر العسقلاني (ت : 1448/852) : **لسان الميزان** ، بيروت : مؤسسة الأعلمي ، 1971 ، 436/3 ؛ ابن ظافر الأزدي ، أبو الحسن علي بن منصور (ت : 1216/613) : **أخبار الدول المنقطعة** ، تحقيق : عصام هزايمة وآخرون ، الأردن : دار الكندي للنشر ، 1999 ، 295/2 .

(6) لاشك أن عدد من قتل من المسلمين في تلك المعارك الطاحنة خلال فترة الثورة العباسية كان كبيرا . وأما القول بأن أبا مسلم قد قتل أكثر من ست مئة ألف فهذه الرواية قد خرجت عن مسارها الأصلي ، ونسبت إلى أبي مسلم فقط . ففي **كتاب العيون والحدائق لمؤلف مجهول** ، يذكر المؤلف أنه «أحصى القتلى الذي قتلتهم الدعاة الشيعة بخراسان والعراق والشام ، وما أمر السفاح بقتله وما تولاه عمه عبدالله بن علي وأهله وأخوه ، فكانوا ستمائة ألف : **العيون والحدائق في أخبار الحقائق** ، بغداد : مكتبة المثنى (بدون تاريخ ، صورة بالأفست عن طبعة ليدن 1869) ، 201 ؛ وقد نسب الطبري ذلك العدد من القتلى إلى أبي مسلم ، وقد نقله عنه من جاء بعده من المؤلفين . تاريخ الطبري ، 491/7 ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت : 1347/748) : **سير أعلام النبلاء** ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1981 ، 51/6 ؛ ابن خلكان ،

وفيات ، 148/3 . ويذكر اليعقوبي رواية ينسبها إلى أبي مسلم قوله أنه قتل مئة ألف من الناس في حروبه التي خاضها . أحمد بن أبي يعقوب ، (ت : 284 هـ/ 897م) ، **تاريخ اليعقوبي** : بيروت : دار صادر ، الطبعة الأولى ، 365/2 .

(7) انظر ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت : 1282/681) : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت : دار صادر ، د ـ ت 145/3-155 ؛ الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت : 895/282) : **الأخبار الطوال** ، القاهرة : وزارة الثقافة ، 1960 ، 337-338 الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، 48/6-73 .

(8) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر : الثعالبي ، عبدالعزيز : **سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية** ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1995 ، 133-182 .

(9) - Frye, R.N., The Role of Abu Muslim In the Abbasid Revolt, The Moslem World 1947, 29

(10) اليافعي ، عبدالله بن أسعد علي (ت : 1367/768) : **مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان** ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1984 ، 308 ؛ **أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده** لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري ، تحقيق : عبدالعزيز الدوري ، عبدالجبار المطلبي ، بيروت : دار الطليعة ، 1971 ، 253-266 ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال ، 337 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 146/3 .

(11) أخبار الدولة العباسية ، 254 .

(12) الأخبار الطوال ، 337 ، وأضاف ابن عساكر «طالباً للعلم» . أبو القاسم علي بن الحسن (ت : 1175/571) : **تاريخ مدينة دمشق** ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمري ، بيروت ، دار الفكر ، 1996 ، 412/35 ؛ ابن الطقطقي ، محمد بن علي (ت : 1309/709) : **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية** ، بيروت : دار بيروت : 1980 ، 168 .

(13) المسعودي ، علي بن الحسين (ت : 957/346) : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، بيروت : دار المعرفة ، 1982 ، 255/3 .

(14) الجاحظ عمر بن بحر (ت : 868/255) : **البيان والتبيين** ، بيروت ، دار الهلال ، 1992 ، 79/1 .

(15) البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت : 892/279) : **أنساب الأشراف** (العباس وولده) القسم الثالث ، بيروت المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، 1978 ، تحقيق : عبدالعزيز الدوري ، 209/3 ؛ تاريخ دمشق ، 413/35 .

(16) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن : **صيد الخاطر** ، 238؛ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت : 1332/33) : **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، 1992 ، 254/7 .

(17) **وفيات الاعيان** ، 148/3 ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل (ت : 1362/764) : **الوافي بالوفيات** ، بيروت : فرانز تشايز ، 1962 ، 271/18 .

(18) **وفيات الاعيان** ، 149/3 .

(19) ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت : 889/276) : **المعارف** ، تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة : دار المعارف ، ط 4 ، د .ت ، 420 .

(20) أخبار الدولة العباسية ، 254 ؛ وفي رواية البلاذري أن اسمه إبراهيم بن حيكان فتسمى عبدالرحمن بن مسلم ، أنساب الاشراف ، 85,3/118 .

(21) أخبار الدولة العباسية ، 253-256 ، أنساب الاشراف ، 119/3-120

(22) وقد ذكر هذه الرواية البلاذري وأضاف قائلا : «وكان في عسكر هشام بن عبدالملك يومئذ عيسى ابن إبراهيم أبو موسى السراج الذي كان أبو مسلم يتعلم منه السراجة ويخدمه ، وأبو مسلم يومئذ معه ، وكان عيسى يومئذ من أهل الكوفة ورئيسا من رؤساء الشيعة ، وكان موسرا يأتي بالسروج إليها وإلى أصبهان والجبال والرقة ونصيبين وآمد ونواحي البلاد فيبيعها» وأنه توسط لدى هشام بن عبدالملك في إطلاق سراح محمد بن علي من سجنه ، فذهب بعد ذلك إلى الحميمة ثم رجع هو إلى الكوفة وأبومسلم معه وعمره عشرون سنة . أنساب الأشراف ، 84/3-85 .

(23) أخبار الدولة العباسية ، 257-262 .

(24) أنساب الأشراف ، 118/3-119 ؛ أخبار الدولة العباسية ، 19 ؛ تاريخ الطبري ، 199/7 ؛ الأخبار الطوال ، 337 ؛ تاريخ دمشق ، 411/35 ، سير أعلام النبلاء ، 323 ؛ وفيات الاعيان ، 146/3 .

(25) قول أبي دلامة هو الوحيد الذي تناقلته المصادر والذي يشير فيه إلى عبودية أبي مسلم وقد قال :

أبا مُجرم ما غـيـّر الله نعـمـة   على عبـده حتى يُغيّرها العبدُ
أفي دولة المهدي حاولت غدرة   أ لا إن أهل الغدر آباؤك الكرُد

المعارف ، 420 ؛ ابن خلكان ، **وفيات الاعيان** ، 155/3 ؛ **أنساب الاشراف** ، 256/3 . وبعد مقتله قال فيه تشفيا منه :

أبا مسـلـم عبـد لعيسى بـن معـقـل   أخـي دلـف لاقـول يتكـذب
حمـدت إلهـي حـين قيـل عدوكـم   أبو مجرم أمس على الدجه يسحبُ

ورواية المدائني من أنه كان مملوكاً لعيسى بن معقل العجلي وباعه لبكير بن ماهان أحد دعاة الدعوة العباسية بأربع مئة درهم ، وأن الأخير بعث به إلى إبراهيم الإمام لابد أنها موضوعة (تاريخ الطبري ، 198/7) . ولا يمكن القبول أيضاً برواية المسعودي بأن أبا مسلم كان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلي (مروج الذهب ، 254/3) ، فلا يمكن للدعوة العباسية أن تجند شخصاً في موقع مهم وحساس وهو مملوك أو خادم .

(26) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 50/6 ؛ وفيات الاعيان ، 147/3 .

(27) تاريخ الطبري ، 344/7 ؛ وفيات الاعيان ، 146/3 - 147 ؛ الأخبار الطوال ، 343 .

(28) تاريخ دمشق ، 412/35 .

(29) أنساب الاشراف ، 125/3 .

(30) انظر : سقوط الدولة الأموية ، 147-220 ؛ عمر ، فاروق ، **طبيعة الدعوة العباسية** ، بيروت : دار الإرشـاد ، 1970 ، 151-268 ؛ Van Vloten, **Recherches sur la Domination Arabe**, etc Amsterdam 1894, 30-48; Wellhausen, J., **The Arab Kingdom and its Fall**, tr., M.G. Weir, Calcutta, 1927, 514-532; Shaban, M.A., **The Abbasid Revolution,** Cambridge University press, 1970, 153-162; Moscati, **"Studi su Abu Muslim I-III,** Accademia Nazional dei lincei, 1949, 323-335, 474-495, 1950, 89-105; Moscati, S., **"Abu Muslim",** Encyclopaedia of Islam, New Edition, Leiden, 1954.

(31) تاريخ الطبري ، 432/7-435 ؛ الأخبار الطوال ، 364-365 ؛ أنساب الاشراف ، 128/3-140 .

(32) عن دور القبائل العربية في انتصار الدعوة بخراسان ، انظر : عمر ، الدعوة العباسية ، 154-189 ؛ Frye. RN., The Role of Abu Muslim. 33-34

(33) واسمه حفص بن سليمان والملقب بوزير آل محمد ، ولم تستمر وزارته أكثر من ثلاثة أشهر أو أربعة . أنساب الاشراف ، 3/153-157 ؛ الدينوري ، الأخبار الطوال ، 370 .

(34) العيون والحدائق ، 212 ؛ أنساب الاشراف ، 3/88 ، 156 .

(35) الأخبار الطوال ، 370 .

(36) مروج الذهب ، 3/199 .

(37) تاريخ الطبري ، 7/454 .

(38) ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت : 889/276) : **الإمامة والسياسة** ، تحقيق : طه محمد الزيني ، القاهرة : مؤسسة الحلبي ، د .ت . ، 2/247 . ويؤكد ذلك ما ذكره ابن خلكان من أن السفاح كان «كثير التعظيم لأبي مسلم لما صنعه ودبره» 3/152 .

(39) تاريخ الطبري ، 3/97 .

(40) أنساب الأشراف ، 3/150 .

(41) تاريخ الطبري ، 7/469 ؛ سير أعلام النبلاء ، 6/60 .

(42) أنساب الأشراف ، 3/184 .

(43) العيون والحدائق ، 212-213 ؛ سير أعلام النبلاء ، 6/60 .

(44) الأخبار الطوال ، 375 - 376 ؛ تاريخ الطبري ، 7/468 .

(45) أنساب الأشراف ، 3/242 .

(46) شغل المنصور طوال فترة خلافة أخيه السفاح بالقضاء على الثورات ، وبسط السيطرة العباسية على الأقاليم الشمالية المتاخمة للحدود البيزنطية . ثم أصبح واليا على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان قبل توجهه إلى الحجاز لتولى رئاسة موسم الحج بطلب من السفاح في السنة التي توفى فيها الأخير 753/136 . العاني ، حسن فاضل ، **سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية** ، بغداد : وزارة الثقافة ، 1981 ، 67 - 97 ؛ تاريخ الطبري ، 7/470 .

(47) أنساب الاشراف ، 3/89 ، أخبار الدول المنقطعة ، 2/294-295 .

(48) العيون والحدائق ، 213 ، سير أعلام النبلاء ، 6/60 ؛ أنساب الاشراف ، 3/184 .

(49) تاريخ الطبري 7/491 . ولم يذكر المؤرخون الكثير عن أصل سليمان بن كثير ونشأته . انظر : سير أعلام النبلاء ، 7/293 ؛ تاريخ مدينة دمشق ، 22/356 .

(50) ابن كثير ، الحافظ بن كثير (ت : 1372/774) ، **البداية والنهاية** ، بيروت : دار ابن كثير ، د .ت . ، 10/55 .

(51) أخبار الدولة العباسية ، 272 . وقد ناقش هذا الخلاف وفقا للرواية المذكورة صالح سعيد آغا في بحثه : Agha, S.S., Abu Muslim's Conquest of Khurasan: Preliminaries and Strategy in a Confusing Passages of Akhbar al-dawlah al-Abbasiyyah, **Journal of the American Oriental Society,** 120 (3), 2000, 333-347.

(52) أخبار الدولة العباسية ، 272 .

(53) أنساب الأشراف ، 168/3 .

(54) أنساب الأشراف ، 168/3 .

(55) السمعاني ، عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت : 1166/562) ، **الأنساب** ، بيروت : دار الجنان ، 1988 ، 362 .

(56) العيون والحدائق ، 213 ؛ الأخبار الطوال ، 377 ؛ أنساب الاشراف ، 3/167-168 . ويذكر البلاذري أيضاً أن أبا مسلم أراد التوجه بأكثر من ثمانية آلاف فارس نحو الأنبار ، لكن السفاح أمره بالقدوم في ألف فارس فقط . أنساب الاشراف ، 186/3 ؛ تاريخ الطبري ، 469/7 .

(57) أنساب الاشراف ، 185/3 ؛ وفيات الاعيان ، 148/3 ؛ اليافعي ، مرآة الزمان ، 308 ؛ أخبار الدول المنقطعة ، 296/2 . ويرى ابن العبري أن ذلك كان السبب الرئيس لغضب المنصور على أبي مسلم وقتله إياه . غريغوريوس الملطي (1286/685) ، تاريخ مختصر الدول ، قم : مؤسسة نشر منابع الثقافة الإسلامية ، الطبعة الأولى د .ت ، 120 .

(58) أنساب الأشراف ، 186/3 .

(59) وفيات الأعيان ، 153/3 .

(60) أنساب الأشراف ، 3/184-185 ؛ تاريخ الطبري ، 481/7 .

(61) تاريخ دمشق ، 35/417-418 ؛ تاريخ الطبري ، 479-484 . أما البلاذري فيذكر أن أبا مسلم بعث بتلك الرسالة بعد هزيمة عبدالله بن علي بالشام . أنساب الاشراف ، 204/3 .

(62) يذكر اليعقوبي أن أبا مسلم حاول في بداية الأمر أن يقف موقف الحياد في الخلاف الذي وقع بين المنصور وعمه عبدالله بن علي ، ويرى لمن سيؤول الأمر ، وأراد الرجوع إلى خراسان . لكن المنصور لم يمهله حيث استدعاه وأخبره بأمر عمه عبدالله وقال له : «ليس لعبد الله غيري وغيرك ، فكره أبو مسلم ذلك ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن أمر عبدالله بالشام أقل وأذل ، وأمر خراسان يجل خطبه ، ثم انصرف أبو مسلم إلى منزله ، وقال لكاتبه : ما أنا وهذان الرجلان . ثم قال : ما الرأي إلا أن أمضي إلى خراسان وأخلي بين هذين الكبشين فأيهما غلب كتب إلينا وكتبنا إليه سمعنا وأطعنا ، فرأي أنا قد أنعمنا له عملاً . فقال له كاتبه : أعيذك بالله من أن تمكن أهل خراسان من الطعن عليك ، وأن يروا أنك نقضت أمراً بعد تأكيده» . تاريخ اليعقوبي ، 365/2 . وتختلف رواية العيون والحدائق عن ذلك ، ويذهب المؤلف إلى أن أبا مسلم هو الذي اقترح على المنصور التصدي لعبدالله بن علي ومقاتلته . 218-219 . وعرف عن عبدالله بن علي أنه كان جباراً سفاكاً للدماء كما وصفه الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، 373/6 .

(63) أنساب الأشراف ، 3/106-108 .

(64) العيون والحدائق ، 219 ؛ البلاذري ، أنساب ، 111/3 .

(65) أنساب الأشراف ، 109/3 .

(66) تاريخ الطبري ، 481/7 ، الأخبار الطوال ، 378 . أما البلاذري فينسب القول إلى أبي جعفر المنصور نفسه بصيغة مختلفة ، أنساب الاشراف ، 201/3 . واسم أبي أيوب المورياني سليمان بن أبي سليمان مولى بني سليم عمل بديوان يوسف بن عمر والي العراق في زمن الأمويين . أعجب به المنصور فجعله من خاصته ، ثم سمع أقوال الوشاة فيه فعذب وسجن . البلاذري ، أنساب الاشراف ، 3/242-245 .

(67) تاريخ الطبري ، 478/7 ، 482 ، أنساب الاشراف ، 201/3 ؛ تاريخ اليعقوبي ، 366/2 .
(68) تاريخ الطبري ، 482/7 ، العيون والحدائق ، 219 ؛ سير أعلام النبلاء ، 62/6 ، أنسب الاشراف ، 202/3
(69) العيون والحدائق ، 219 ؛ مروج الذهب ، 302/3-203 ؛ تاريخ اليعقوبي ، 366/2 .
(70) أنساب الاشراف ، 203/3 .
(71) أنساب الاشراف ، 205/3 .
(72) مروج الذهب ، 302/3-303 ، تاريخ دمشق ، 421/35 . ويذكر الدينوري أن يزيد قال لأبي مسلم : «أيها الأمير ، أجهدت نفسك ، وأسهرت ليلك ، وأتعبت نهارك في نصرة مواليك ، وأهل بيت نبيك حتى إذا استحكم لهم الأمر ، وتوطد لهم السلطان ، ونلت أمنيتك فيهم تنصرف على هذه الحال فما تقول الناس؟ ألا تعلم أن ذلك مطعنة عليك ومسبة ، في حياتك وبعد وفاتك؟» . الأخبار الطوال ، 380 . ولا يذكر البلاذري النص ولكن علق ذلك بقوله : «فلم يزل يمسح جوانبه ويرفق به ويعرفّه قبح ما ركب وأن النعمة إنما دامت عليه بالطاعة . . .» . أنساب الاشراف ، 202/3 .
(73) مروج الذهب ، 303/3 ؛ تاريخ الطبري ، 483/7-485 ؛ العيون والحدائق ، 220 ؛ تاريخ اليعقوبي ، 367/2 .
(74) وفيات الأعيان ، 153/3 .
(75) تاريخ الطبري ، 483/7 ؛ العيون والحدائق ، 219 ؛ سير أعلام النبلاء ، 62/6 .
(76) تاريخ الطبري ، 483/7 ؛ العيون والحدائق ، 219 ؛ سير أعلام النبلاء ، 62/6 ويروي البلاذري أن خالد بن إبراهيم أنكر على المنصور غدره بأبي مسلم وسأله في ذلك فأرسل له المنصور من اغتاله وقتله ، أنساب الأشراف ، 226/3 .
(77) تاريخ اليعقوبي ، 367/2 ؛ تاريخ دمشق ، 425/35 .
(78) العيون والحدائق ، 221-222 ؛ مروج الذهب ، 303 .
(79) سير أعلام النبلاء ، 69/6 ؛ تاريخ دمشق ، 421/35 .
(80) سير أعلام النبلاء ، 69/6 ؛ تاريخ دمشق ، 421/35 .
(81) تاريخ الطبري ، 485/7-486 ؛ العيون والحدائق ، 221 .
(82) تاريخ الطبري ، 492/7 .
(83) سير أعلام النبلاء ، 64/6 .
(84) تاريخ الطبري ، 489/7 .
(85) تاريخ الطبري ، 494/7 ؛ أنساب الاشراف ، 210/3 .
(86) أشار كبار مستشاري المنصور على الخليفة بقتل أبي مسلم دونما أية رحمة أو شفقة ، ودون أن تشفع له إنجازاته العظيمة التي خدم بها الدعوة العباسية ، والتي لولاها لما جلس المنصور على كرسي الخلافة . ومن هؤلاء المستشارين يزيد بن أسيد الذي أكد له ضرورة التخلص منه حفاظاً على سلامة الدولة ، لكن المنصور غضب عليه وهدده بالقتل على ما قاله حرصا منه على السرية التامة التي أراد أن يحيط بها المنصور قراره النهائي . كما استشار سالم بن قتيبة بن مسلم وقد كان من المقربين للمنصور ، وولاه البصرة بعد مقتل إبراهيم بن عبدالله أخي محمد النفس الزكية . الزبير بن بكار (ت : 869/256) ، أخبار الموفقيات ، بيروت : عالم الكتب ، 1996 ، 127 ؛ مروج الذهب ، 301/3 .

(87) ذكر البلاذري أن نصر بن سيار كتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة أمير العراق يستنجده حين ظهرت المسودة وكتب له شعرا فيه :

أبلغ يـــزيداً وخيـر القـول أصدقه وقـد تيقنـت أن لا خـيـر في الكـذب

بأن خـراســـان أرض قـد رأيت بهـا بيضـاً لـو افـرخ قـد حدثـت بالعجب

وقـــد وجـــدنا فراخاً بعد قد كثرت لما يطـرن وقـد سـربلـــن بالــزغـب

إلا تــــدارك بخيـــل الله معلـمـــة ألهـبن نيـران حـــرب أيمـــا لهـب

فرد يزيد . لا عليه فما عندي رجل واحد أمدّه به ، وكان مبغضا له مستقلا لولايته خراسان . أنساب الأشراف ، 3/133-134 .

(88) مروج الذهب ، 3/301 .

(89) تاريخ الطبري ، 7/487 ، 513 ، وكسكر منطقة من أعمال واسط بالعراق .

(90) تاريخ الطبري ، 7/489 .

(91) تاريخ الطبري ، 7/487 .

(92) ابن خياط ، خليفة بن خياط ، (ت : 240/854) ، **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1997 ، 416 ؛ تاريخ الطبري ، 7/488 ؛ مروج الذهب ، 3/303 ؛ وفيات الأعيان ، 3/154 ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف 3/205 ؛ تاريخ مدينة دمشق ، 35/427 .

(93) للمزيد من المعلومات حول ما كتب عن أبي مسلم من قصص وأساطير انظر : A.J. Arberry, "Notes on Islamic Manuscribts Recently Acquired by the India Office Library" Islamic Culture, vol, XIII, No. 4, October, 1939, 444-446; Moscati, S., "Abu Muslim", E.I. New Edition, vol. 1, 141; Frye, R., "The Role of Abu Muslim...", **The Moslem World**, 1947, 37

(94) استعرض فاروق عمر في أطروحته طبيعة الدعوة العباسية وآراء المستشرقين في سبب مقتل أبي مسلم الخراساني . طبيعة الدعوة العباسية ، 249-252 .

(95) تاريخ الطبري ، 8/94 ؛ تاريخ دمشق ، 35/426 .

(96) تاريخ الطبري ، 7/489 ؛ تاريخ مدينة دمشق ، 35/422 ، أنساب الاشراف ، 3/205 . ويذكر البيهقي نقلا عن المدائني الذي قال : «بينما عيسى بن موسى يساير أبا مسلم في منصرفه عن أبي جعفر في اليوم الذي قتل فيه إذا أنشد :

سيأتيـك ما أفنـى القـرون التي مضت ومـا حـل في أكنـــاف عـاد وجـرهـم

ومـن كان أسنى منـك عـزا ومفخـرا وأنهـض بالجيـش اللّهـــام العـــرمـرم

فقال أبو مسلم : هذا مع الأمان الذي أعطيت . فقال عيسى : عتق ما أملك إن كان هذا لشئ من أمرك وما هو إلا خاطر . فقال : بئس والله الخاطر «مع أن هذه الرواية توحي بأنها نسجت لتتفق مع الحدث فإنها أيضا تبرئ عيسى بن موسى من دم أبي مسلم . البيهقي ، إبراهيم بن محمد (القرن الرابع الهجري) . المحاسن والمساوي ، بيروت ، بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، 1979 ، 446 . وذكر هذ الرواية أيضا الحميري ، محمد بن عبدالمنعم (ت : 900/1494) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ت : إحسان عباس ، بيروت : مكتبة لبنان ، 1984 ، 219 .

(97) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر : تاريخ الطبري ، 7/495 ، 503 ، 508-509 ؛ أنساب الأشراف ، 3/227-230 ، 246-248 ؛ سير أعلام النبلاء ، 6/71 ؛ 1/308-324 ، Browne, E.G., **A literary History of Persia**, London: 1952

(98) عمر ، فاروق ، **العباسيون الأوائل** ، عمّان : المطبعة الأردنية ، 1982 ,40-93/3 .

(99) تاريخ الخلفاء ، 414-417 ؛ أخبار الدول المنقطعة ، 298-299 .

* * *